



السَّلامُ عَلَى الْعَالَمِيْنَ
وَإِلَى أَمْسِ الْعَالَمِيْنَ



مَسِيدُ قُطَيْبٍ

دار الشروق —

السلام العالمى والإسلام

الطبعة الثالثة عشرة

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

الطبعة الرابعة عشرة

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروكة ©

٨ شارع سيديويه المصري

مدينة نصر - القاهرة - مصر

تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩

فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)

email: dar@shorouk.com

www.shorouk.com

سید قطب

السلام العالمی والإسلام

دار الشروق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥)
الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرَّةٍ وَهُمْ لَا
يَتَّقُونَ (٥٦) فِيمَا تَشَقَّقْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَدَ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ
يَذْكُرُونَ (٥٧) وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨) وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا
يُعْجِزُونَ (٥٩) وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ
يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا
تُظْلَمُونَ (٦٠) وَإِنْ جُنَحُوا لِلْسَّلَامِ فَأَجْزَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنفال: ٥٥-٦٦).

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا
فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الأنفال: ٣٩).

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا
حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى
يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ (التوبة: ٢٩).

العقيدة والحياة

عمر الفرد الفانى محدود، وأيامه على الأرض معدودة . وهو -
بالقياس إلى هذا الكون الهائل الذى يعيش فيه - ذرة تائهة لا مستقر
لها ولا قيمة، وعمره بالقياس إلى المدى الهائل من الأزل إلى الأبد
ومضة برق أو غمضة عين . .

ولكن هذا الفرد الفانى . هذه الذرة التائهة . هذا اللقى
الضائع . . يملك فى لحظة أن يتصل بقوة الأزل والأبد . أن يمتد
طولاً وعرضاً فى ذلك الكون الهائل . أن يرتبط به فى أعماقه
وأمشاجه بوشائج من القربى لا تنفصم . أن يشعر بأنه من تلك
القوى الهائلة وإليها . أنه يملك أن يصنع أشياء كثيرة، وأن ينشئ
أحداثاً ضخمة، وأن يؤثر فى كل شيء ويتأثر . . يملك أن يحس
الوجود فى الماضى، والاستقرار فى الحاضر، والامتداد فى
الآتى . يملك أن يستمد قوته من تلك القوة الكبرى التى لا تنضب
ولا تنحسر ولا تضعف . وإنه لقادر إذن على مواجهة الحياة
والأحداث والأشياء بمثل قوتها وأقوى، فما هو باللقي الضائع،

ولا بالفرد العاجز ، وهو يستند إلى قوة الأزل والأبد ، وإلى ما بينه وبينها من وشائج .

تلك وظيفة العقيدة الدينية ، وذلك أثرها في النفس والحياة . ذلك سر قوة العقيدة في النفس ، وسر قوة النفس بالعقيدة . سر تلك الخوارق التي صنعتها العقيدة في الأرض وما تزال في كل يوم تصنعها . الخوارق التي تغير وجه الحياة من يوم إلى يوم ، وتدفع بالفرد وتدفع بالجماعة إلى التضحية بالعمر الفاني المحدود ، في سبيل الحياة الكبرى التي لا تفنى ، وتقف بالفرد القليل الضئيل أمام قوى السلطان ، وقوى المال ، وقوى الحديد والنار . فإذا هي كلها تنهزم أمام العقيدة الدافعة في روح فرد مؤمن . وما هو الفرد الفاني المحدود الذي هزم تلك القوى جميعاً ، ولكنها القوة الكبرى الهائلة التي استمدت منها تلك الروح ، والينبوع المتفجر الذي لا ينضب ولا ينحسر ولا يضعف .

وما تملك عقيدة أخرى . غير العقيدة الدينية . أن تصل الكائن الفاني بقوة الأزل والأبد ، وأن تمنح الفرد الضعيف ذلك العون والسند ؛ وأن تصغر في عينه قوى الجاه والمال ، وقوى المركز والسلطان ، وقوى الحديد والنار ، وأن تصبره على الحرمان والأذى ، وتقدره على الصبر والكفاح ، وتدفعه إلى الموت الذي يخلق الحياة ، والفناء الذي يمنح الخلود ، والتضحية التي تورث النصر .

ومن ثم قيمتها الكبرى في حياة الأفراد وحياة الجماعات سواء . ومن ثم ذلك الإصرار الذي نصره على مواجهة مشكلاتنا

الاجتماعية ومشكلاتنا الإنسانية ، ومشكلاتنا العالمية ، بحلول تنبع من عقيدتنا الدينية .

إن هذه العقيدة قوة هائلة فى أيدينا ، وقوة عميقة فى كياننا . قوة لا يتخلى عنها صاحبها فى زحمة الصراع إلا أن يكون به حمق أو سفه . ونحن نواجه صراعاً ضخماً من حولنا . نواجه قوى هائلة متكئة أكبر من طاقتنا المجردة . فإذا كانت عقيدتنا تسعفنا فى هذا الصراع الضخم بقوى حقيقية واقعة ، وبحلول عملية واقعة كذلك . . فأى ضمير يملك أن يفرط فى تلك القوى ، وأن يتخلى عن هذه الحلول ، لمجرد أنها نابعة من تلك العقيدة ؟ !

إن بعض النظم الأخرى قد تقدم لنا بعض الحلول ، لبعض المشكلات ، فى بعض الأحيان . . ولكن قيمة العقيدة التى ندعو إليها ليست مجرد تقديم الحلول الوقتية للمشكلات الوقتية . إنما قيمتها أنها تقدم هذه الحلول ، وتقدم معها القوة الضامنة لتحقيقها وحمايتها . قوة الدافع الفطرى العميق للعقيدة الدينية . ذلك الدافع الذى لا تملأ فراغه فى النفس الإنسانية فكرة فلسفية ، ولا مذهب اجتماعى ، ولا نظرية اقتصادية . ذلك أنه أعمق فى النفس البشرية من مستوى الفكر والمذاهب والنظريات . إنه جوع فطرية لا يسدها إلا الإيمان . جوع كجوع الجسد إلى الطعام والشراب وسائر الضرورات .

وكم يخطئ الذين يخدعهم خمود هذا الدافع فترة أو تواريه ، فيحسبونه قد مات ، ويحسبون أنهم يستطيعون ملء فراغه فى

نفوس الأفراد والجماعات، بمذاهب فلسفية، أو نظريات اقتصادية، أو أفكار اجتماعية.

وسرعان ما يتبين لهم خطأهم حينما تنتفض العقيدة الخاملة من حيث لا يحتسبون، فتأتى بالخوارق فى حياة الفرد، وفى حياة الجماعة. . هذه العقيدة التى كانت منذ لحظة خامدة هامة، لا توحى بأمل، ولا ينبعث منها رجاء. وإن هى إلا فترة كمون يحسبها الجاهلون موتاً، ويدرك العارفون أنها طور من أطوار النفس البشرية، المليئة بالمسارب والمداخل، وبالمنعرجات والدروب!

تلك الخوارق التى تأتى بها العقيدة الدينية فى حياة الأفراد وفى حياة الجماعات لا تقوم على خرافة غامضة، ولا تعتمد على التهاويل والرؤى. إنها تقوم على أسباب مدركة وعلى قواعد ثابتة. إن العقيدة الدينية تصور كلى شامل يربط الإنسان بقوى الكون الظاهرة والخفية، ويثبت روحه بالثقة والعطمانينية، ويمنحه القدرة على مواجهة القوى الزائلة والأوضاع الباطلة، بقوة اليقين فى النصر، وقوة الثقة بالله. وهى - العقيدة - تفسر للفرد علاقاته بما حوله من الناس والأحداث والأشياء، وتوضح له غايته واتجاهه وطريقه، وتجمع طاقاته وقواه كلها وتدفعها فى اتجاه. ومن هنا كذلك قوتها. قوة تجميع القوى والطاقات حول محور واحد، وتوجيهها فى اتجاه واحد، تمضى إليه مستتيرة الهدف، فى قوة وفى ثقة وفى يقين.

والشخصية الإنسانية لسوية وحدة متماسكة ، فهي في حاجة إلى عقيدة موحدة تصدر عنها في كل اتجاه ، ونسائلهم في اشعور والسلوك ، ونسبديها في موحدة الكون والحياة ، وترجع إليها في كل صغيرة وكبيرة .

وفصل هذه العقيدة في حياة كل إنسان ، أن تكون نقطة ارتكاز تجمع إليها حيوط حياته ونشاطه ، فلا تتمزق شخصيته وتتبعثر ، ولا يدركها العلو واخيره والاضطراب ، وكلما قويت هذه النقطة واشتدت صلاتها باخبط لمنشئة ها وهالك في حيسة الفرد ونشاطه كانت شخصيته أقوى ، لأنها أكثر تجمعاً ، وكنت خطوته أهدي لأنها أروح طريقاً

ولعقيدة التي تتسع لكل ألوان النشاط الإنساني هي عقيدة أفضل وأكمل من العقيدة التي تنظم بعض ألوان النشاط وتقصّر عن بعضها . وكما نأب لفرد في نشاطه كله إلى عقيدة واحدة كان ذلك أفضل له وأيسر من أن يرجع في ألوان نشاطه إلى عقائد معرقة . إن وحدة العقيدة حيثنأ تحقق وحدة الشخصية ، دون أن تجور على ألوان نشاطها لمتعددة ، ودون أن تصيق محال نشاط أو تحده ، ودون أن تمرقها صرائق فداً ، وتوقع بينها الاضطراب أداً .

ولعقيدة الروحية التي لا رأى لها في سلوك الاحتماعى والعلاقات الاقتصادية والنظم العملية . كالظرية الاجتماعية التي لا رأى لها في الاعتقاد الروحي والخلق والسلوك . كالفكرة المنه التي لا علاقة لها بالسلوك أو الاعتقاد أو الطام . . كلها

محاولات دافضة، لا عندك أن تنظم للإساقية حيتها كاملة، ولا أن تحقق للشخصية الإنسانية التماسك والاتساق

إن الفرد كالحماعة في حجة محة إلى عقيدة تسع لكل أنواع لشاط الحية، وتهتم على اتجاهاتها جميعاً، لتدفع بها كلها في طريق الإخاء والنساء والسماء والفتريات التي يهتدي فيها الفرد أو يهتدي فيها الجماعة إلى مثل هذه العقيدة، وتستحيب لها استجابة كاملة، وتحققها في واقع الحياة هي لفتريات التي تحقق فيها البشرية ما يبدو كأنه معجزات، وما يصعب تفسيره إلا على ضوء لوحدة التي تجمع الطرفة وتصوب عن التردد والتمرق، وتدفع بها كلها في اتجاه واحد، كالسير الخاف، وكالسير الحاد.

والعقيدة الإسلامية هي المثال لواحد الذي عرفته الإساقية هي تاريخها الصوبل في هذا الحاد، إنها العقيدة التي تسع فشم كل شاط لإساق في كل حقول الحياة، فلا تقصر مهمتها على حقول دون حقول، ولا على اتجاه دون اتجاه

إنها لا تدع ما لمبصر لمبصر وماتته لله وما لقصر، وقبصر داته، هي العقيدة الإسلامية كله لله وما لمبصر حق ليس للفرد من رعايه^١

وإن لا تنولي روح للفرد وتهمل عقله وحسده أو تنولي شعائره وتهمل شرائعه، أو تنولي ضميره وتهمل سلوكه وإن لا تنولاه فرداً وتهمله جماعة، ولا تنولاه في حياته الشخصية وتهمل نظام حكمه أو علاقات دواته ومجتمعه سائر ادول والمحتمات

إنه لمكرة تكاملية شاملة التي تمتد حيوطها في حياة
الإسلامية امتدادا لشرائير في الكائن الحي وامتداد الأعصاب

ونحن في بلادنا هذه. وفي «العالم الإسلامي» كله. بواجهه
ألوان شتى من المشكلات ولعوائق بواجهتها في الداخل في
صورة مشكلات اجتماعية واقتصادية وأخلاقية، وبواجهتها في
الخارج في صورة مشكلات دولية عالمية، ولكننا بواجهتها ونحن لا
نجد أعصاب ولا نعرف مصيوبا من الطاقة، ولا ندرك لنا هدف ولا
طريقا بواجهتها ونحن أحوح ما نكون إلى عقيدة واحدة تجمع
قواها، وإلى رؤية واحدة تقف في ظلها صف، وبى فكرة واحدة
نواجه بها الحياة وبواجهتها مشكلات، وبواجهتها تلك القوى
التي تناصنا العدو في الداخل وفي الخارج سواء

وقد كنا ننحى على عقيدتنا الصحيحة، ونظر بها عن جهالة أو
عن عرص، أنها لا تسعف بحلول العملية المحددة لمواجهة الحياة
العصرية ومشكلاتها، وبخاصة في الحقل الاجتماعي والحق
الدولي.

وأما الحقل الاجتماعي فقد صدرت منه عدة مؤلفات تكشف
عن الحلول العممية التي يملك الإسلام أن يواجه بها الحياة. وقد
تداولت معظم الاعتراضات التي كان يبدونها طلاب العدالة
الاجتماعية، ورأوا أن الإسلام يملك أن يحقق عدالة أشمل
وأكمل من كل ما تملك تحقيقه جميع المذاهب الاجتماعية
الأخرى

وأما الحقول المدوس ، فربما كان العمل فيه قليلاً ، ولم تشرح هذه
الناحية بعد شرحاً كافياً . وأمامنا اليوم مشكلة السلام العالمي التي
تواجهها البشرية جميعاً ، وبواجهتها نحن صمّة . فهل للإسلام
فيها رأى ؟ ولها عنده حل ؟

هذا الكتاب كله هو الإجابة التفصيلية عن هذا السؤال .

طبيعة السلام في الإسلام

فكرة السلام في الإسلام فكرة أصيلة عميقة، تتصل اتصالاً وثيقاً بطبيعته، وفكره الكلية عن الكون والحياة والإنسان هذه الفكرة التي ترحع إليهم نظمهم جميعاً؛ وتلتقي عندهم تشريعاته ونوحيته، وتجتمع إليهم شرائعه وشعائره، شكل لا يخطر على بال الباحثين والدارسين أنفسهم لهذا الدين . إلا أن يندفعوا بالبحث والدرس إلى الخدور العميقة المعينة، ويتسعوا امتدادها وتفرعها، في نقطة وصبر وإحاطة .

ونظرة الإسلام الكلية عن الكون والحياة والإنسان ليست موضوع بحثي اليوم في هذا الكتاب^(١) . كما أنها لم تكن موضوع بحثي في كتاب «العدالة الاجتماعية في الإسلام»؛ ولكن البحث في أي حقل من حقول الإسلام لا عني له عن الإمام بتلك النظرة الكلية الكبيرة الشاملة لشدة الرباط والناسق بين أجزائها ومجراتها، وتوثق الصلات بينها وبين كل نظرة حريه، أو مسألة

() هذه النظرة الكلية الشاملة تكمن بها كتاب «حضانة الصور الإسلامية ومقوماته»

نعمريعه . فهذه الدين لا يعالج مشكلات الحياة الإنسانية أحرار
وعاريق ، ولا يقيم كلاً منها على أصل لا علاقة له بسانر
لأصو . هو يرجعها كلها إلى عطف ريكار و حدة ؛ ويديرها
كلها حول محور جامع و حد ، تشدد إلى حد المحور حيوط
طاهرة أو دقة ، ولكنها قائمة على كل حال ، تؤلف من مسائل
حد الدين وفصياه وحدة كليه جامعة ، مردها إلى نظريه الكلية
لمكون والحياة والإنسان .

وطبعة السلام في الإسلام على وجه خاص لا غنى لها عن
الإمام سطرة الإسلام الكليه تلك ، فمنها تسع نوعاً مباشراً ،
وإلها ترجع رجوعاً مباشراً . فمحاول أن يدم بها في سطور
قصة ، قبل حديث عن «طبيعة السلام في الإسلام» كما ألمنا
بها هناك قبل حديث عن «طبيعة العدل الاجتماعي في
الإسلام» .

الإسلام دين الوحدة الكبرى في هذا الكون الكبير الوحدة
بين حرياته جميعاً . من الدرة بمردة إلى أرقى طبقات احبة
المركمة والوحدة بين مفرداته جميعاً من الجماد الساكن إلى
البيت النامي ، إلى حيوان المتحرك إلى إنسان الناقص والوحدة
بين شطه جميعاً من دورة لأفلاك والكواكب إلى حولة لأفكار
والأرواح والوحدة بين اتجاهاته جميعاً . من سيطرة الأفلاك
للموس إلى استعانة الأرواح للمعرفة والهدية والوحدة بين
طوائفه جميعاً من حوطة خمس بصروا ، إلى هتاف الروح
بالأشواق ثم الوحدة بين الأحياء فيه جميعاً ، وبين لأحاس

فيه جميعاً، وبين الأحوال فيه جميعاً، وبين يديه ومنتهى، وبين
أرضه وسماؤه، وبين آخرته وديارها . .

يبدأ الخطوة الأولى بتوحيد الإله، أدت التي تصدر عنها
الحياة، وإليها وحدها الاتجاه

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣)
وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (إحلاص ٤-١). وبذلك يثبت كل
أسباب المعرفة والخلاف في مصدر لكون الأول ورفع أسباب
للمصادم والصدام في صميمه المموس فوحدة الإله الخلق تنهى عن
ماموس الكون تعدد التصميم والطام وتنهى عنه تعاليد أسباب
اتتعارض والاصطدام وذلك مصداق ما يقول الله تعالى في
المراب : ﴿وَكَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَعَسَ أَنْ (سورة الأنبياء
آية ٢٢) وَمَصْدَقُ مَا يَقُولُ سُبْحَانَهُ ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ﴾ (سورة المؤمنون الآية . ٩١)

عن إرادته هذا الإله الواحد، يصدر الكون بطريق واحد
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (سورة يس
الآية ٨٢) فلا وساطة بين لإرادة الموحدة والكون المحقق.
ولا تعدد في الطريقة التي يصدر بها هذا الكون كنه عن الحاس
الواحد إله محدد لإرادته التي بعبر عنها لمرن بالكمة
﴿كُنْ﴾ وتوجه هذه الإرادة كاف وحده لصدور لكون عنها

﴿ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ ويدل على معنى صدور الكون كل وساطة أو
ثائية أو تعدد، فيسمى كل صل لتصادم أو لتعويق أو لتفاوت مد
اللمحة الأولى، ويقرر سبب الكون في طريق الوجود بيسر
وساطة وتناسق هذا التناسق ملحوظ في الظاهر، الك من
كذلك في نظام الكون والحياة كلها والأحياء ﴿ الذي خلق سبع
سموات طباقا ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل
ترى من فطور ﴾ (٣) ثم ارجع البصر كرتين يقلب إليك البصر حاسك
وهو خبير ﴿ (سورة تبارك الأبتان: ٣ ، ٤)

وفي يد هذا الإله لو احد ملك كل شيء، وإليه يتوجه الكون
كله، حملة وأفرادا، في الدنيا والآخرة، في العمل والصلاة، في
الحب والممت وإليه مرده كما كان عند مرده ﴿ تبارك الذي
بيده الممك وهو على كل شيء قدير ﴾ (١) الذي خلق الموت والحياة
ليبلوكم أنكم أحسن عملا ﴿ (سورة تبارك الآت: ١ ، ٢)

﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا
يسبح بحمده ولكن لا تفقهون سبحهم ﴾ (سورة الإسراء
آية ٤٤) ﴿ وما خلقت الجن والإس إلا ليعبدون ﴾ (٢٠) ما
أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ﴿ (سورة الداريات
٥٦ ، ٥٧) وبذلك يعنى عن الكون والحياة والأحياء فكره
صلا العاية، أو تصادم العرص، وبقيمها على النهج الموحد
أو اصح التناسق، وسلكها في الطريق لو حد المؤدى إلى العاية
عاية الجميع ووجهة الجميع

هذا الكون المتصرف الأجراء، المتعدد لأشكال، المتشوع الأحجام يرجع إلى أصل واحد، وإلى طبيعة واحدة وقد كان في أصله مجتمعا ثم تفقت أجزأؤه، وتكويت أبعاده ﴿أولهم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما﴾ (سورة الأنبياء الآية ٣٠) ويحصع كله لناموس واحد، يسوق حركاته، ويقيه انصدام والتهدم، ويهيمن علي أحراره وأفلاكه، ويظم سيرها ومحراها: ﴿والشمس تجري مسطور لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ (٢٨) والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم (٣٩) لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون﴾ (سورة يس آيات ٣٨-٤٠) . وذلك يسمى عن أجراء الكون المتصرف صفة انتقاص والتأثر؛ ويشت لها صفة التوحد والتاسق، في طبيعة التكوين، وفي تصميم الناموس، وفي نظام الحركة سواء

و الحياة في هذا الكون مقصوده وليست فلتة عسره وقد روعى في تصميم لكون وفي ناموسه أن يسمح بظهور الحياة، وأن يوافيها بحاجاتها وحاجات الأحباء، وأن يحرسها من التحطيم والهلاك والفناء

فهذه الأرض ﴿وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها﴾ (سورة فصلت الآية ١٠) . ﴿وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ (سورة نحل الآية ١٥) . ﴿والأرض وضعها للأنام﴾ (١) فهي فاكهة واشخل ذات الأكمام (٢) والحب ذو

العصف والرياح ﴿سورة الرحمن الايت ١٠-١٢﴾ هو
 الذي جعل لكم الأرض دلولاً فامشوا في مآكثها واكلوا من رزقه ﴿
 (سورة تدرث الآية ١٥) وهذه السماء قد روعي في تصميمها
 مقتصات الحياة ﴿وربما السماء لدنيا بمصالح وحفظا﴾ (سورة
 فصلت آية ١٢) ﴿وبملاك السماء ان تنفع على الأرض بلا
 ياديه﴾ (سورة حج الآية ٦٥) وهذه ابرياح بين السماء
 والأرض في خدمة الحياة ولأحياء ﴿الله الذي يرسل الرياح
 فتثير سحابا فيسقطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى
 الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم
 يستبشرون﴾ (سورة الروم الآية ٤٨) وبذلك يقرر التعاون
 والتساق بين صيغة الكون وطبعة الحياة في عمومها، ويعد فكرة
 لنصادم والمعارض كما يقرر مبدأ لطمة المقصود في ساء
 الكون، وينفي فكره انصدفه عماء التي لا تقوم على نظام

والحياة الباصرة في هذه الأرض حرحت من أصل واحد،
 وتحتوي كلها على هذا بعصر الواحد بعصر الماء الذي هو
 الأصل للأحياء: ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ (سورة
 الانبياء الآية ٣٠). والأحياء كلها من الأشياء - تشترك في
 خاصية واحدة. خاصة التراوح ﴿سبحان الذي خلق الأرواح
 كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون﴾ (سورة من
 الآية ٣٦) ﴿فاصر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم
 أرواحا﴾ (سورة الشورى الآية ١١) ﴿ومن كل شيء خلقنا

روحين لعلكم تدكرون ﴿ (سورة الدرياب الآية ٢٩) وتشتري
 في سطيح حماعى واحد ﴿ وما من دابة في لأرض ولا طائر يطير
 بحاحيه إلا أمم أمثالكم ﴿ (سورة الأنعام الآية ٣٨) وندت
 نوم السب بين الأحياء في الأرض جميعاً، ويصح الأحياء أسرة
 واحدة، ننت من أصل واحد، وتقوم القرانة بين الأحياء والأشياء
 في هذه الأرض جميعاً

والإنسان، أرقى مدح الحياة، مصوع كيانه من مادة الكوب
 الأولى وسبه إلى ماده هذا الكوب عرق ﴿ ولقد خلقنا
 الإنسان من سلالة من طين ﴿ (سورة المؤمنون الآية ١٢)
 وأفراد هذا الإنسان بعد ذلك موحدون في أصلهم الواحد،
 متساوون في سسهم إليه «أنتم سو دم وادم من تراب»^(١)
 وكل أفراد هذا الجنس جميعاً من نفس واحدة، ومن هذه النفس
 الواحدة خلق روحها، ومهما معاً صدر الأفراد جميعاً ﴿ يأبها
 الناس تقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
 وبث منهما رجالا كثيراً ونساء ﴿ (سورة نساء الآية ١)
 وكلهم خلقوا لتعارفوا ويتالموا لا ليت حروا ويتدبروا ﴿ يأبها
 الناس يا حنفاكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
 لتعارفوا ﴿ (سورة الحجرات الآية: ١٣) . وبذلك يربى كل
 أسباب النزاع العنصرية والجنسية، بتحرير وحدة الإنسانية في
 طبيعتها وفي أصلها وفي شأنها، وسقير العايه من تفرق

(١) مسلم وأبو داود

الأحناس والفتائل ، والصبر على أنها تتعارف واستألف ، لا
التناحر والتدابر .

إلى هذه الشريعة لو احدة أرسل الله ، لو احدة رسالة واحدة ،
المؤمنون بها أمة واحدة ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا
والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى إلا أقيموا
الدين ولا تفرقوا فيه ﴾ (سورة الشورى الآية ١٣٠) ﴿ قولوا
أما بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من
ربهم لا يفرق بين أحد منهم ويحرل له مستمنون ﴾ (سورة البقرة
الآية ١٣٦) ﴿ يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني
بما تعملون عليم ﴾ (٥١) وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأمر ربكم
فانقون ﴾ (سورة المؤمنون لايتان ٥١ ، ٥٢) وذلك يزيل كل
أسباب النزاع الدينية بين المؤمنين بدين الله الحق متمريه أن الدين
كنه من عند الله ، وأنه دين واحد يدعو إلى الإسلام لله الواحد لا
شريك ، وإلى الديونة لهذا الإله الواحد ديونة مطلقة هي أمور
أنديا وأمور الآخرة لا تمريو .

ثم يسير الإسلام أشواضا أخرى في تقرير فكره الواحد الكرى ،
ويتسلل بها إلى كوامن النفس وبرعات الحسد وسحات الروح ،
ويدخل بها إلى كل زاوية في حياة الإنسان ، إلى كل وجهة من
وجهات الحياة ، لكن هذه مباحث لا حجة ساهد لنقصيها .
فحسبنا هذا القدر في التمهيد ليد «طبيعة السلام في الإسلام»

من هذا التماسق في طبيعة الكون، وفي باموس الحياة، وفي أصل الإنسان تستمد طبيعة السلام في الإسلام، فتستند إلى أصل أصيل عميق، ويصيح السلام هو لقاعدة الدائمة، والحرب هي الاستثناء الذي يقصده خروج عن هذا التماسق لمثل في دين الله الواحد، يسعى وإعظم، أو بالفساد والاحلال وأظلم لظلم الشرك بالله وأفسد الفساد بعيد عدل لغير الله، فترده الحرب الموقوتة إلى التماسك الدائم والصلاح الواجب ﴿ حتى لا تكون فنةً ويكون لدين كله لله ﴾ (سورة الأنفال الآية ٣٩)

ذلك أن لإسلام يعني من الخطوة الأولى معظم الأسباب التي تثير في لأرض الحروب، ويستعد ألوان من الحرب لا يقر بواعثها وأهدافها.

يستعد الحروب التي تثيرها القومية العنصرية، فلا مكان فيه للقومية العنصرية، وهو يقرر أن لباس كلهم من أصل واحد، وأنهم حققوا كلهم من نفس واحدة، وأنهم جمعوا شعوباً وقبائل ليتعارفوا

يستعد الحروب التي تثيرها المظالم والمدفع حروب الاستعمار والاستغلال، والسحت عن الأسواق وحامات، واسترقاق المرافق ورجال فلا مكان فيه لهذه الحروب، وهو يعد استشره كلها وحده منعاً، بل بعد الحياة كلها أسرة فريسة سب، بل يعد الكون كله وحده غير منارعه الأهداف وهو يأمر بالتعاون على السر والفقوى لا على الإثم والعدوان، وهو يحرم السلب والنهب والعصب، وهو بعد استشره كلها بعدل

المطلق ، لا هارق بين جنس أولون أو عقيدة في الاستمتاع الكامل
بعدل الله في ظل شريعة الله ، في النظام الذي مرره الله

كما يستبعد الحروب لى يثيرها حب الأمجاد ابرائمه
للملوك والأنطال أو حب المعاصم الشخصية والأسلاب حاء
رحل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال «الرحل يقتل
لمعصم ، و ارحل يقتل للدكر ، والرحل يقتل ليرى . فمن في
سبيل الله؟ قال - ﷺ : «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو
في سبيل الله»^(١)

هنا تنس تلك الحرب الوحيدة المشروعه لتي بقرها الإسلام
«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» عمدا هي
كلمه الله لتي يقتل من يقاتل في سبيلها فيكون في سبيل الله؟

إن كلمة الله هي ، تعبير عن إرادته ، وإرادته الظاهرة لنا نحن
نُشر ، هي التي بقرها هو سبحانه . ويحددها كلامه ﴿ حتى لا
تَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾ (البقرة ١٩٣) ولا يكون الدين
كله لله ، إلا عند إفراد الله . سبحانه . بالألوهية و اربوبية والعبادة
والطاعة والديوبه فلا بعد الدس إلا إليها واحداً ، ولا يدبون في
نظم حياتهم ومعاشهم ، لا كما يشرعه ويأذن به هذا الإله الواحد ،
ولا يستمدون صايح حياتهم ادبوية . ك لأحرويه سواء . إلا من
مهج لله الصريم ويهدا وحده يكون الدين كله لله . نعى الدبوية
لله وحده في كل شأن من شؤون الحياة . وبذلك يكون في لأرض

(١) أخرجه الخمسة

رب واحد، لا أرباب متفرقة. إذ كل من يدعى لنفسه أنه صاحب حق في التشريع للناس من عند نفسه، إنما يدعى - ولو لم يذكر ذلك علانية ونصاً - أنه في هذه الأرض إله مع الله، أو من دون الله. فلا يكون هناك إله واحد، ولا يكون الدين كله لله.

فهذه هي الحرب التي يقرها الإسلام. تقرير ألوهية الله في الأرض ونفي غيرها من الألوهيات المدعاة، ودفع الدين يدعون لألوهية - سواء بالقول أو بالفعل - وثبت سلطان الله في الأرض حتى يكون الدين كله لله. وحتى لا يتحد الناس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله!

ولقد جاء الإسلام إلى هذه الإنسانية كلها، فمن تحقيق كلمة الله أن يصل هذا الخير الذي جاء الإسلام به إلى الناس جميعاً، وألا يحول بينهم وبينه حائل. فمن وقف في طريق هذا الخير أن يصل إلى الناس كافة، وحال بينهم وبينه بالقوة، فهو إذن معتد على كلمة الله، وإرلته من طريق الدعة هي إذن تحقيق بكلمته الله، لا تفرص الإسلام عرضاً على الناس، ولكن لمسخهم حرية لمعرفة وخبرة الهداية. فالإسلام لا يكره أحداً على اعتناقه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥٦) ويكره الدين يقصون بالقوة في طريقه، ويمشون الناس عنه، أو يجمعونهم انثناء من تبين لرشد من الغي، عن طريق لسنورة عليهم وحرمانهم حق الاختيار. وهذه هي الحرب التي يقرها الإسلام ويحرص عليها تحريصاً، ويدعو رسوله أن يحرص عليها المؤمن ويحب الدين يحوصونها، ويعدهم أعلى درجات

ابر صواب ﴿بِأَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّصِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ
 عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَعْلَمُوا مَا فِيهِمْ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَعْلَمُوا أَلْفًا مِنْ
 الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ (سورة الأنفال الآية ٦٥)
 ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى
 يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (سورة التوبة الآية ٢٩)
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُيُوتٌ
 مَرْصُورَةٌ﴾ (سورة الصف الآية : ٤)

ولقد جاء الإسلام ليحقق العدالة في الأرض فاطمه، ويقيم
 نقسط بين البشر عامة العدالة بكل أنواعها لعدالة
 الاحتماعة، والعدالة لقابضة، والعدالة الدولية، فمن عى
 وظلم وحارب اعداء فقد حالف عن كلمة الله، وعلى المسلمين أن
 يقاتلوا لإعلاء كلمة الله، وأن يردوا شردين عنها إليها حتى لو
 متشقوا الحسام في وحوه المسلمين اساعين فالعدل مطلق، ورد
 السعى واعدوا، هو كلمة الله التي يحب أن تعمل في كل جانب
 وفي كل مكان ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا
 فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي بَغَتْ حَتَّى تَقْبَلَ إِلَيَّ أَمْرُ
 اللَّهِ فَإِنْ فَاتَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
 الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة المجزات الآية . ٩).

وإذا كان للإسلام يدعو المسلمين أن يقاتلوا المسلمين العاة لرد

اللعى وتحقيق القسط، فهو يدعوهم إلى دفع الظلم كافة إلى
 دفع الظلم عن أنفسهم وإلى دفعه عن كل مظلوم لا يملث له دعاء،
 على ألا يعتدواهم ولا يسعوا في أثناء رد العدوان ﴿وقَاتِلُوا فِي
 سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾
 (سورة البقرة الآية ١٩٠) ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
 وَلِمُتَّصِعِينَ مِنَ الرِّحَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمُ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ
 لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ (سورة النساء الآية ٧٥).

لهذه الأعراس العليا وحدها يحمل الإسلام السيف، ويعظم
 الإسلام الجهاد، ويعد المجاهدين أعلى درجات الشهادة والحرارة:
 ﴿إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ
 يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعُذًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ
 وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ (سورة التوبة الآية ١١١) ﴿وَلَا حَسْبُ
 الدِّينِ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عَدَّ رَبُّهُمْ يَرْرِقُونَ ﴿١٦٩﴾
 هَرَجِينَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ يَسْتَفْتِحُونَ يَا دِينَ لَمْ يُلْحَقُوا بِهِمْ
 مَنْ جَلَّاهُمْ إِلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْرِبُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَفْتِحُونَ بِفَعْمَةٍ
 مِنَ اللَّهِ وَفَصْلٍ وَأَنْ اللَّهَ لَا بَصِيرَةَ أَحَرُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة آل عمران
 الآيات: ١٦٩-١٧١).

ولهذه الأعراس العليا وحدها يدعوهم أن يعدوا العدة،
 ويهتئوا القوة، وألا يهتئوا ويدعوا إلى السلم الرحيمه ﴿وَأَعِدُّوا

لَهُمْ مَا اسْتَغْنَوْا مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تَرَاهُنَّ مِنْ عَدُوِّ اللَّهِ
وَعَدُوِّكُمْ ﴿ (سورة الأنفال الآية ٦٠) ..

﴿ فَلَا يَهْتَوُوا بِدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ
يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (سورة محمد الآية ٣٥)

على أن إعداد أعداءه وتوفر القوة عرض مقصود لداته،
وصورة من ضرورات الحركة الإسلامية إن الإسلام هو آخر
رسالة الله إلى البشر، وهو جامع العصمة التي أرادها الله للناس،
وهو «الدين» الذي جاء بقواعده الأساسية كل رسول ﴿ إِنَّ الدِّينَ
عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ (سورة آل عمران الآية : ١٩) . ﴿ وَمَنْ يَسْتَفِ
غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (سورة آل عمران الآية : ٨٥)
فكل من جاء ليأمر الناس بعبادة الله الواحد دون شريك،
و لإسلام الله الواحد لا تزداد ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (سورة لآساء الآية ٢٥)

ثم جاء محمد بهذا الدين ﴿ مُصَدِّقًا لِمَنْ يَدِينُ مِنَ الْكُتُبِ
وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ ﴾ (سورة المائدة الآية : ٤٨) .

هذه الرسالة الأخيرة إذن هي الوصية على روح لشريعة كلها
وعلى حياتها جميعاً، ولابد بوصي من قوة تقرر وصديقه، لا عن
صديق، لإرغام والإرهاب، ولكن عن طريق الاحترام والهدنة
والناس هم الناس لابد أن يربحوا إذا لم يجدوا الرادع القوى
الذي يحفظ الحدود ويحميها فلا بد أن تكون هذلك قوة يحسون

حسابها وولم نعد إليهم يدها و لهدى الأعرج مهمل والخير
المصعيف مسود .

فإعداد انقوه واحب واحب لتكون في هذه الأرض سلطه
عليها ترد الشاردين عن الخس إليه ، وتقف الطعنة عن السعي
والعدو ، وتحفظ على الامين أنفسهم وسلامتهم ، وتعر كلمه الله
عن الاستحقاق والهوان ، وتقر سلطان الله في الأرض ، وتقرده
سجانه - بالسلطان

وما حين تتحقق الحرية المبيعة ، فلا يصد الناس بالقوة عن كلمه
الله ، ولا يمتنعون عن دينهم الذي ارتضاه لهم الله طهراً شاملاً
للمحياة وحين لا تقوم في الأرض سطره تعبد الناس في الأرض
لأرباب من دون الله وحين تتحقق لعدالة الخيرة ، فلا يعنى بعض
الناس على بعض ، ولا يستدل بعضهم برفاق بعض وحين
يتحقق الأمر للصعفاء الذين لا يملكون عن أنفسهم دفعاً ، ويكف
الساعي عن عبه ويصح إلى السلم والهداية حين يتم هذا
والإسلام المالك للنمو المستعد للطوارئ يصع السيف حاشاً ويدعو
إلى السلم فوراً * وإن جحوا للسلم فاحج لهم ونوكل على الله *
(سورة الأنفال الآية ٦١) * وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة
ويكون لدين كله لله * (سورة الأنفال الآية ٣٩)

ذلك إجمال فكرة السلام في الإسلام السلم وعده والخرب
ضرورة ضرورة لتحرير سلطان الله في الأرض لتحرير الناس من
العبودية لغير الله وضرورة لدفع السعي من العدة وتحقق كلمه الله

وعدن الله . ضرورة لتحقيق خير لمشرية ، لا حير أمة ولا حير
 حسن ولا حير فرد . ضرورة لتحقيق لمثل الإنسانية العليا لتي
 جعلها الله عاية للحياة الديي . ضرورة تأمين الناس من لصعظ ،
 وتأمينهم من الخوف ، وتأمينهم من الظلم ، وتأمينهم من الصر
 ضرورة لتحقيق العبد المطلق في الأرض فتصبح إذن كلمة الله
 هي العليا .

و واقع الإسلام التاريخي شئت هذه المبادئ النظرية . فلقد جاء
 محمد ﷺ مأموراً أن يبلغ الرسالة للناس كافة ﴿ وما أرسلناك
 إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (سورة سبأ الآية : ٢٨) . وأن
 يعلن دعوة لله حالصة ، بلا من ولا آخر : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ
 فَأَنْذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّحْرُ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾
 وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ (سورة المدثر الآيات
 ١-٧) . وأن يسلك بالدعوة طريق الجدل بالحسني ، والإقناع
 بالحجة . في غير قسوة ولا غبطة ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ
 وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَحَادِّثْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة النحل
 الآية : ١٢٥) ﴿ وما أنت عليهم بحارٍ فذكر بالقرآن من يخاف
 وعيد ﴾ (سورة ق الآية : ٤٥) .

وهكذا سارت الدعوة على هذا الأسس ، لا يسعى محمد من
 لئاس إلا أن يستمعوا إليه ، فإن صعت قلوبهم إلى الإيمان
 فليؤمنوا ، وإن قست قلوبهم وراا عليهم لصلال فأمرهم إلى
 الله متى تحقق لهم أن يتحرروا من سلطان الطواغيت ويواجهوا

عقيدة الإسلام أحراراً في الاختيار ، بعيد صعط من سلطة قاهرة
تصددهم عن هدى الله ويصف لهم بالقوة دون الاستجابة للهداية

ولكن الجاهلين لم يسبقوا محمداً ، ولم يدعوا الدعوة لسلامة
طريقها ، ولا لعنقيها المقسعين بها حريتهم ، فأدوهم وأخرجوهم
من ديارهم وأسائهم ، وقتلواهم حيثما وجدوهم ، وحلوا بين
الدعوة وبين الأسماح بالمرءة المادية المحردة من كل إقناع .

وعندئذ حمل الإسلام السيف ليدود عن مبدأ أساسي من
مبادئه : مبدأ حرية الدعوة وحرية العقيدة . ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ
بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ بَصَرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ (٣٩) الذين أخرجوا من
ديارهم بعيد حقٍ إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم
ببعض لهدمت صوامع وبيع وصناعات ومساجد يذكر فيها اسم الله
كثيراً وليصرن الله من يصره إن الله لقوي عزيز ﴿ (سورة الحج
٣٩ ، ٤٠)

ولقد هادن النبي ﷺ - في أول لعهد إسلامية - كل من طلب
الهدنة ، وكل من اتحد معه عهداً ، فلم يقاتل معهم إلا الذين
نقضوا عهودهم ، وتمروا على المسلمين مع أعدائهم وفي ذلك
كانت غرورة بني قريظة بعدما ألقوا لأحزاب بني المسلمين في
غرورة الخندق ، كما كانت قبلها غرورة بني البصير وعرورة بني فيثاق
حينما حسوا بعهودهم مع رسول الله ﷺ ، تنفذاً لأمر الله في
ناقضى العهد وبالكثبة ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ

لَا يُزْمَنُ لَكُمْ لَدِينِ عَاهِدَاتٍ مِنْهُمْ ثُمَّ يَبْقُصُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ
وَهُمْ لَا يُتَّقُونَ (٥٦) فَإِنَّمَا تَتَّفِقُونَهُمْ فِي الْحَرْبِ وَفِشْرَدُ بِهِمْ مِنْ حَلْفِهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿ (سورة الأنفال الآيات ٥٥ ٥٧)

ولقد قاتل رسول الله - ﷺ - قريشاً؛ التي سبق لها الاعتداء
على سلطان الله - لشرك ثم الاعتداء على المسلمين الذين حلعو
عندهم ربة الشرك. وكان القتال دفاعاً عن ربوبية الله سبحانه، ثم
دفاعاً عن عباده . .

ولقد كان الشرط الرابع من هذه الخدسة التي عقدتها رسول
الله ﷺ مع قريش "أن من دخل في عهد قريش دخل فيه
ومن دخل في عهد محمد دخل فيه" رياء على ذلك تحالف
بنو بكر مع قريش، وتحالفت خزاعة مع محمد ﷺ. وقد كانت
قبيلة خزاعة حليفة للجاهلية لعبد المطلب جد محمد ﷺ،
فأرادت أن تجدد ميثاقها معه كما كان مع حده. وكان ميثاقها مع
عبد المطلب يتضمن هذه الفقرة "إن عبد المطلب وولده ورحاله
حزرة متصافرون يتعاونون، وعلى عبد المطلب نصرة لهم،
وعلى خزاعة البصرة لعبد المطلب وولده على جميع العرب في
شرق وعرب وحزن وسهل".

وقد أقر النبي هذه المعاهدة، ولكنه راد فيها شرطين يحددان
مسم يكون لتعاون والنصر، كي تتفق مع مبادئ الإسلام
الأساسية. وكان هذان الشرطان "ألا يعين خزاعة إذا كانوا
ظالمين" و"أن ينصر خزاعة إذا ظلموا".

وكانت حزاعة حتى ذلك الوقت لم تسلم ولكن محمد بن مسلم
الإسلام تعهد لها بالنصر من الظلم، لأن الإسلام بكرهه في
جميع صورته وأشكاله، ويدفعه سواء وقع على أهله أو المعتنقين
ديناً غير دينه.

ولقد قال النبي ﷺ - عن حلف الفصول لدى كان معقوداً
في الجاهلية - «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما
أحب أن ألقى به حُمْر النعم، نو أدعى به في الإسلام لأحيت» (١)

فماذا كان في هذا الحلف الذي لا يحب محمد أن تكون له
البوق الحسن وأن يقصه؟ به الحلف الذي اجتمع عليه بنو هاشم
والمطلب، وأسد بن عبد العزى ورهرة بن كلاب، وتيم بن مرة،
وتحالفوا فيه على «رد المظالم وإبصار المظلوم من الظالم». وكان
النبي ﷺ وقتها في الخامسة والعشرين قبل النبوة

ولم يكن يوماً من أعراض الحرب في الإسلام إكراه الناس على
اعتناقه، لا في مبادئه النظرية ولا في وقوعه التاريخي اللهم إلا
قلبت عارضة وقعت خطأ ممن لم يفهموا حقيقة الدعوة
الإسلامية، ولا تحسب على الدين لأنها ليست من هذا الدين،
وما انتشر الإسلام بالسيف كما يصممه الجاهلون به، والمعادون له
وما كانت الحرب فيه لإكراه الناس على اعتناقه إنما كانت الحرب
لإزالة الطواغيت التي نحول بين الناس وبين سماع الدعوة، أو
نفتهم عن دينهم حين يحتدروا عن اقتناع، كما كانت لإزالة
لطلواغيت التي تدعى حق الألوهية وتعتصب حصائصها وتتعمد

(١) رواه ابن هشام في السيرة من حديث بن اسحاق

الناس من دون الله ، والله يريد أن يكون للناس إله واحد ، وأن يكون الدين كله لله . .

يقول «سيرت . و . أرنولد» في كتابه «الدعوة إلى الإسلام»
ترجمة حسن إبراهيم حسن وزميله في ص ٥١ :

«ومن هذه الأمثلة التي قدمناها آنفاً عن ذلك التسامح الذي بسطه المسلمون الطافرون على العرب المسيحيين في القرون الأولى من الهجرة ، واستمر في الأجيال المتعاقبة ، نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام ، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة . وإن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة شاهد على هذا التسامح» .

ويقول أيضاً قبل ذلك في صفحة ٤٨ :

«ويمكنا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام ، فمحمد نفسه قد عقد حلماً مع بعض القبائل المسيحية ، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائهم الدينية ، كما أتاح لرحال الكنيسة أن يعملوا بحقوقهم ونفوذهم وقد وُجد حذف كهذا بين أتباع لسبي وبين مواطنيهم الذين كانوا يدينون بالوثنية ديهم القديم»^(١)

(١) لابد من التنبيه إلى أن هذا الحلف كان في فترة مرحلية من مراحل الحركة الإسلامية وإن طلاق لفظ «كف» من استشرق (ب و أرنولد) وراءه حياء يحسن التنبيه له ! وللاستفادة من معرفة هذه الحقيقة يرجع فصل «الجهاد في سبيل الله» في كتاب «معالم في الطريق»

وفي هذا وفي أمثاله ما يدفع تنبث الدعوى، وما يحرم بأن حروب الإسلام لم تكن لإكراه الناس على الدين، ولا للاستعمار والاستغلال والإدلال إنما كانت بعلاء لكلمة الله في الأرض جعل السلطة العليا فيها للدين بهر دون الله - سبحانه - بالوهمية وإيصال الخير الذي جاء به الإسلام للناس كافة عن طريق الرضا والافتناع. وتحقيق العدالة والأمن والسلام في ظل سلطان الله المتمرّد - سبحانه - بالسلطان. وفي ظل هذا السلطان الذي يقرر للناس مسهب حياة الناس فيه أحرار، يحتار كل فرد عقيدته بلا صغط ولا إكراه...

ولا يتم الحديث عن طبيعة السلام في الإسلام حتى شير إسي الحاح الذي يعمل فيه الإسلام. إن الإسلام في طبيعته الكلية في النظرة إلى الحياة، لا يحزئ السلام، ولا يشده في حقن مهرد من حقوق الحياة إنما يجعل السلام كله وحدة، ويحاول تحقيقه في كل حق، ويربط بينه وبين النظرة الكلية للكون والحياة والإنسان. وبذلك تصبح كلمة «لسلام» التي يعيها الإسلام ذات دلالة أعمق وأشمل من معناه الذي نتعرف عليه الدول في هذه الأيام فهو السلام الذي يحقق كلمة الله في الأرض من الحرية والعدل والأمن لجميع الناس، لا مجرد الكف عن الحرب بأي ثمن، مهما يقع في الأرض من ظلم ومن فسادا ومهما يكن في الأرض من طاعوت واعتداء على سلطان الله وألوهية الله.

وحيث يحاول الإسلام إقرار السلام الشامل وفق مبادئه العليا في تحقيق كلمة الله، لا يبدأ في مجال السلام لدولي، فتلك نهاية

المرحلة لا بدايتها وما السلام الدولي إلا الحديقة لأحيرة التي تسبقها حلقات .

د الإسلام يبدأ محاولة السلام أولاً في صميم الفرد، ثم في محيط الأسرة، ثم في وسط الجماعة وأخيراً يحاول في الميدان الدولي بين الأمم والشعوب

إنه يشد السلام في علاقة الفرد بربه، وفي علاقة الفرد بنفسه، وفي علاقة الفرد بالجماعة ثم يشده في علاقة بطائفة بالطوائف، وعلاقة الأفراد بالحكومات ثم يشده في علاقة الدولة بالدول بعد تلك الخطوات

وبه ليسير في تحقيق هذه العاية الأخيرة في طريق طويل، يمر فيه من سلام الصميم، إلى سلام الست، إلى سلام المجتمع، إلى سلام العالم في نهاية المطاف فُلِّقُفُ فما يلي خطوات لإسلام في سبل السلام .

سلام الضمير

لا سلام عام ضمير الفرد فيه لا يسمتع بالسلام . بلك هي
نطرة الإسلام . فإذا شاء أن يقيم السلام العلى على أسس
ركين ، فهو يبدؤه هالك فى قرارة الضمير . .

وللفرد فى انظم الإسلامى فىه أساسيه ، فهو اللسة الأولى
فى ساء لحماعه ، وفى ضميره تست البدره الأولى للعقيدة ، وهى
سلوكه تستحيل العقيدة المكوبة حقيقة ظاهرة ، بل يستحيل هو
ذاته ترجمة حية لهذه العقيدة .

وفى ضمير الفرد يعرض الإسلام بدره لسلام . السلام
الإيجانى الذى يرفع الحياه ويرقيها ، لا السلام السلبى الذى يرصى
كل شىء ، ويدع المادى العليا تداس فى سبيل العافية والسلامة .
السلام لناع من استسقى والتوافق ، المؤلف من الطلاقة والنصام ؛
الاشىء من إحلاق القوى وانطاقات اصاحه السبية ، ومن تهديت
لشروات والبرعات ، لا من الكسب والتسوم واحتمد . السلام الذى
يعترف للفرد بوجوده وسوارعه وبأشواقه ، ويعترف فى الوقت ذاته

للمجموعة ومصالحها وأهدافها ، وبالإنسانية وحاجاتها وأشواقها ،
وبالدين والخلق والمثل . كلها هي توافق واتسق

المنطق والعقيدة

يعقد الإسلام ، السلام بين المنطق الإنساني والعقيدة الدينية منذ
الخطوة الأولى فالإسلام عقيدة بسيطة و صريحة لا تعقيد فيها ولا
عموض

الله . ليس كمثله شيء . وهو خالق كل شيء . ومحمد
ﷺ بشر كسائر البشر أوحى إليه أن يهدي الناس إلى عبادة هده
الإله الواحد بلا شريك ، والديونة له وحده في أمور الدنيا
و الآخرة بلا مراع ليس الله وحده في ثلاثه ولا ثلاثه في واحد ،
وليس والدًا ولا مولودًا . ومحمد يس بشرًا ، وإلهًا ، وليس
رسولاً في الأرض وربًا في السماء !

في الإسلام لا شيء من الألعار والمعميات ، التي تهرب من
النضوء وتدع المصق الإنساني في حيرة ، والصمير المردى في
قلق . لأنه إما أن يؤمن فيهمل منطق ، وإما أن يعتصم بالمنطق
فيقوده إلى الكهر والاحاد ، وإما أن يبقى متأرجحاً بينهما ، عمرقاً
مضطرباً لا يقر على قرار .

وفي الإسلام ليس من العسير تصور بشر يتصل بالقوة
الكبرى . ففي روح الإنسان تلك الطاقة التي تصله تلك القوة ،
وأفرد عاديون يحسون في تجاربهم العادية تلك لصفة ، ولكن

أرواحهم لا تثبت لهذا الاتصال إلا لحظات خاطفات أما أرواح
كأرواح محمد وموسى وعيسى ونوح وإبراهيم - عليهم السلام -
فلا يتعذر تصور استمداها من هذه القوة وبقيها

وإذا قيست قصة تصور الوحي على هذا النحو بقصة تصور
اللاهوتية والباسوتية في أقنوم ، وتصور ثلاثة في واحد ، وتصور
برول الإله إلى الأرض في صورة ابنه ليعاني الآلام تحليصاً
لنشريه من خطيئة آدم إلى آخر أو هام الكيسه والمجامع التي
دستها في النصرانية . إذا قيست تلك القصة إلى هذه القصايا
فإنها تبدو بسيرة بسيرة!

لقد دخلت هذه الأساصر إلى النصرانية ، وهي منها بريئة
فالنصرانية في منابعها الأولى صورة من الدين الواحد الذي أرسل
الله به رسله جميعاً ، دين التوحيد الذي لا يجعل لله شريكاً ،
والذي يطلق الشر من العبودية لشريك ولكن الرومان الذين
دخلوا في المسيحية ومعهم آلهتهم المتعددة لم يطبقوا أن يخلصوا
سريرتهم لهذا التوحيد هي النصرانية ، ومن ثم بدأت تلك
الأساطير ، شيئاً فشيئاً صارت هي النصرانية كما تعرفها
الكنيسة ، أي النصرانية الرسمية التي يشر من لا يعتنقها ويكتب
عليه الحرمان!

ولكن صيرورة النصرانية إلى هذا الوضع أوقعت انشغاف من
النصارى في قلق نفسي وفكري دائم فهم إما أن يستجيبوا
لنطقهم فيخرجهم من عدد المؤمنين إلى عداد الملحدين ، وما أن
يلغوا عقولهم ليحتفظوا بعقيدة هذه الأساطير التي تحميها

الكنيسة، وإما أن يكونوا أنفسهم إلى الفلق الروحي الدائم من
جوعتهم إلى العقيدة، ومطقتهم الذي يمر من تلك الأساطير

وفي الإسلام كاد يحدث ما حدث في النصرانية.
والرغبة لمشرية في لأساطير والتهويل طلت تحاول أن تعشى
على وصوح الإسلام وساطته، وطلت بصوع حول محمد بن
عبد الله، وحول المخترين من آل بيته وحصاة أحسين رضى الله
عنه. طلت بصوع الخراف والهلالات التي بأنها طبيعة
الإسلام، وطلت بحمد عبد العمة قبولاً لا نجده حقائق الإسلام
الواضحة السليمة

ولكن ساء الإسلام دانه بقي سليماً، وأصوبه بقي محتوطه
فقد كت طبيعته من الوصوح والسادقة بحيث بقيت هذه
الهويل والأساطير تتأثر على هامشه، ولا تدخل في نيته

في النصرانية قادت الكنيسة دانه هذه لتهويل وتسته، لأنها
تريد من سلطتها على نفوس الخماهير، وكان تعقيد العقيدة،
وإحاطتها بأحواء من الغموض غرضاً مقصوداً لتكون للكنيسة في
حياة الناس وطمة وإلا علو طلب العصدة المسححة سيطرة كما
هي، واضحة كما هي، مفهومة كما هي. فمدا يصع رجال
الدين؟ وما حاجة الناس إليهم إذا ستضاعوا هم بأنفسهم أن
يفهموا دينهم، وأن يمارسوا شعائره، وأن يتصلوا مباشرة
بحالقيهم؟^١ . به لابد من هذا الغموض لابد من هذه الرؤى
والأحلام والأساطير، كي يلجأ الناس إلى الكنيسة دائماً، تحل
لهم رموز، لعقيدة، وتكشف لهم بحسب عن الأسرار وبذلك

يقتضى سلطان الكيسة كاملاً، وتنقى سبطتها كاملة، ولا يملك الناس أن يحطوا خطوة في حياتهم الدينية، وفي حياتهم الروحية إلا ومعهم قسيس أو قديس!

أما في الإسلام فلم تكن هناك كيسة لم تكن هناك هيئة «إكليروس» لا تقام شعائر الدين بدونها، ولا يتصل الفرد بخالفه إلا عن طريقها. والإسلام هو المعتقد للفكر المشرى لا من الأسطورة والوهم وحدهما، بل كذلك من صعظ المعجزة المادية الخارقة للنواميس الكونية المعروفة. فلم يشأ لهذا أن يحجر الفكر المشرى على الإذعان له بالحوار المادية. إنما جعل وسيلته إلى الإدراك المشرى وصوحه ولساطته وحقائقه. وحيثما اتفق أن كسفت الشمس يوم وفاة إبراهيم. ابن محمد الرسول. وصح الناس للحادث، وقالوا كسفت الشمس لموت إبراهيم. نادر محمد ﷺ انتهى هذه الشبهة، كي لا تعشى وصرح العقيدة وبصوعها، وأعلن أن الشمس أنه من أدت الله لا تكسف لموت شر. وبذلك الحزم لصارم، والصدق الناصع، بهه الناس عن الإسلام للرجعة لكامة في هوسهم في الهاويل العاصفة، ولم يسايرها ولم يستعلها لشر دبه الجديد، لأنها في صميمها مافضة لطسعة الدين الجديد.

وبهذه الصاعقة وهدد الوصوح يعقد الإسلام بين مطلق الفرد وعقيدته، فلا يثور في نفسه ذلك لقلق المصى الذي تثيره بصريه الكيسة المحرفة، وبطائرهما من العقائد التي تخرج فيها الحقيقه بالأسطورة. ويحتلظ فيها الحق بالساطر، وتتوارى من

الور والوضوح، فلا تعيش إلا في حو السحور والتراثيس، لأنها
تهرب من الضوء وتخشى أن تلقاه .

نعم إن القطيع الشرى كان في حاجة ملحة، وهو يواحه
الكون العريض، ولطبيعة الهائلة . أن يحس إلهه قريباً منه،
معياً بالامه واماله، فحاء الكثير من أساطير الصراية الكسية
ليلى هذه الرعة العميقة، فأنزل الله سبحانه من عليائه ليتحمل
الآلام تكفيراً عن خطيئة آدم، أو جعل ابنه الوحيد يحتملها رحمة
بالشر . إلى آخر تلك الألغاز المحيرة بمسطق المعلقة بضمير
فأم الإسلام فيلبى هذه الحاجة، ولكن بما يتفق مع ألوهية الإله
ووجدانيته . يليها بإشعار الإنسان أن الله قريب منه، مستحب
به، لا يعفل عن رعايته ولا ينساه : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي وَعَلَهُمْ
يُرْشِدُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية : ١٨٦) . ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي
أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (سورة عاقر الآية : ٦٠) ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَحْوِ
ثَلَاثَةِ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلاَ خَمْسَةُ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ
وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ﴾ (سورة المحادلة الآية : ٧)
﴿ وَخُنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ (سورة في الآية : ١٦) . .
﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴾ (سورة هود الآية : ٦١) . ﴿ وَهُوَ
الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة السروج الآية : ١٤)

وهكذا يجد الإنسان صلاته الوثيقة بالله، ويحس رحمته
ورعايته واستجابته دون ما حاجة إلى الأساطير المحيرة للعقول .

الأشواق والضرورات

كذلك يعتقد الإسلام السلام بين ضرورات الفرد الملحة، وأشواقه الروحية المرفقة. ولكنه لا يعقده على حساب اللوازع الضرورية، ولا على حساب الأشواق الروحية. إن فكرته في الوحدة الكلية تطع بظروته إلى الفرد الإنساني، ونظريته إلى دوافع الحياة الممثلة فيه. والضرورات والأشواق كنتاجهما تدمجان في تناسق، فلا يصعب من طاقتهما الدافعة إلا ما يعارض هد التناسق، وما يعوق غو الحياة الكامل.

ومن ثم يعترف الإسلام منذ اللحظة الأولى بضرورات الحياة الأصلية الكامنة في طبيعة البشر، ولا يرى فيها - في حالة الاعتدال السوي - ما يعارض مع لرغبة في السامى، وهي كذلك أصلية كامنة في طبيعة البشر.

وحين يدعو الإسلام إلى التطهر الروحي، والابتلاع من قيود الشهوات، فإنه لا يعنى كبت الدوافع الحيوية، وإرهاق الطاقات الحية. كما هو يدعو إلى أن يملك الإنسان قباد نفسه فلا يكون عبدًا مملوكًا لشهوته، ولا حيوانًا مدفوعًا ببروانته والإرادة هي مفرق الطريق بين الإنسان والحيوان في المتاع: ﴿والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾ (سورة محمد الآية ١٢)

فإذا ملك الإنسان أمره فإن عليه أن يعرف سده حقه، وعليه أن يتمتع نفسه بطبيات حياة، وألا يحرم ما أحله الله. وما أحله الله يشمل كل ما تطلبه السية الصحيحة السوية من لذة ومتاع.

إن دوافع الحياة الطبيعية كلها ليست مستندرة في عرف

لإسلام، والرعية في الأمن ليست سقوطاً يترفع عنه
المظهرون. فالرعية في امتداد أحياء تنص مع مشيئة الله في حق
أحياء، وإنما يريد الله ترفه الحبة لا مجرد امتدادها وهذا الامتداد
هو وسببة الارتقاء، وليس مصداً لفكرة الارتقاء ومن ثم
لإسلام يسبق الدوافع الخسوية في سعة لشر، مع الأشواق
لروحانية العميقة في العطرة، ويصوغ من كليهما وحدة، لا تفريط
فيها ولا إفراط، ولا صرع في داحيه ولا اصطدام

والدعوة إلى الاستمتاع في لإسلام تسر حساً بي حسب مع
دعوة إلى التسمي، فتشأ من بينهما صورته للاعتدال، البري،
من الفحش، البري، من الحرمان ﴿يَا بَنِي آدَمُ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ
كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَشَرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (٢)
قل من حرم ربة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي
تدبب أموا في الحياة الدب حالصة يوم القيامة كذلك بمصل
لآيات لقوم يعلمون (٣٦) قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها
وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وإن تشركوا بالله ما لم ينزل به
سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا نعلمون ﴿ (سورة الأعراف
الآيات ٣١-٣٣)

والفواحش من الفحش وهو تجاوز الاعتدال، وشأبه شأن
لبي بغير الحق وشأن الإشراف الله كلها مفسد للنطرة، ماف
للعادة، محال لناموس الحياة المتناسق

وكذلك نجد لصدف لشربة لسوبة محالها للعمل في ماء
الحياة وهي برفقة الحياة، ولا يصل الفرد عمرًا بين وقع حياته
الضروري صفاته ونماء الحياة معه، وبين الأشواق العلوية التي
تهتف له وتناديه

وكذلك يتم التماسق بين المحافظة على الحياة ورفقة الحياة
يتم هذا التماسق في صميم الفرد معاً لعصده، كما يتم في محيط
الجماعة تبعاً لسوكة، فبعد الفرد نفسه في سلام وحلى مع
صميمه، وفي سلام خارجي مع سواء.

وكذلك يعالج الإسلام أسباب ما يسمى «العقد النفسية» التي
أقام عليها «فرويد» وأتباعه مذهبهم، والتي عدوها صرة لازب
لا تمر منها، ولغة يفرصها مجتمع على الفرد بقبوله وتعليمه،
ونكت الرعات التي يرب صميم الفرد - أو الذات العليا - عن
المجتمع في فرض الرقابة عليها هذه «العقد النفسية» لا وجود
لأساسها هي حو العقيدة الإسلامية، التي تعترف من الخطوة
الأولى برعات الفرد وضروره، ولا ترى عيها قدرة ولا
احتياطاً، ويسر له السبل لتصريفها تصريحاً مأموناً معترف
شرعيه وحديثه وسطافته كذلك - وهذا هو المهم - ما دام في
الحدود السوية المأمونة - التي لا تؤدي إلى إحلال في شحبه
الفرد، ولا إلى شكس حيواني في محيط المجتمع

وبلاحظ لإسلام هذه الرعات الطبيعة الرئة ملاحظه دفعه،
فقد أن للمرأة في بعض الأحيان رعات في المباح والريبة عمر

رعات الرجل ، و سيج لها أحياناً ما يحرمه عليه ، مرعاة لفطرتها
الأنثوية في التزين والتجمل . يبيح لها حاتم الذهب ولباس الحرير
على حين يهـي الرجل عن هذا التصري ، و يَعدُّه بالقياس إليه ترفاً
مؤدياً وكل ما يحرمه على المرأة في هذا المحال هو استبرج ، لأن
المسألة هنا تحرح من دور المتاع الريء إلى دور الاستشارة
الحيوانية ، وهذا هو مفرق الطريق !

وبذلك تنحصر الأسباب المؤدية إلى ما يسمى «العقد النفسية» .
في حو العقيدة الإسلامية . في حالات الشذوذ المرضي أما
الطوائع السرية فتتم فيها التوارد والتناسق ، وتحصى عوامر
القلق ، فينعم الفرد المسلم في نفسه بالأمن والسلام

الخطيئة والتوبة

ثم لا يقف الإسلام عند حد الاعتراف للفرد بصروراته
وتسويقها مع أشراقه بل يحظر وراء ذلك خطوة أخرى واقعية
بصيرة . إنه يعترف للفرد بدوافع الخطر والخطيئة ، فأب الخطأ
وانسيان وما يقع عن كراه معصيان من المؤاحدة إغواء . «رغم عن
أمتي الخطأ و لنسيان وما استكرهوا عليه» . وأما لذنب والخطيئة
فساب التوبة منهما مفتوح في كل حطة ، بدلف إليه من يشاء
ليستغفر ويتطهر ، فلا يطرده من رحمة الله طارداً ، ولا يوصد دونه
ودون الله باب ، ولا يهوم بينه وبين ربه وسيط .

فيذا ما ارتقى الفرد إلى الخطيئة لم تقطع إليه السبل ، ولم يصح

ضائعاً مطروداً ملعناً، ولم يستد به الظلام الكافر العاثر
 فهالك البور، وهالك الطريق، وهالك أيدى أخاية الرحيمة يد
 التوبة البدية، ممحاه أسره والعافيه، وتعمره بالروح والظلام
 ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ
 إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سوره الرمر
 الآية : ٥٣).

إن الإله في الإسلام لا يطارد المذنب مطاردة أندية، حتى لا
 يقل له عثرة، ولا يقل منه نوبة، إلا أن يقتل نفسه، أو يعدد
 حسده، أو تتركس روحه في حسام قدرة رديئة حقبة وأجبالاً
 وكماره الخطيئة لا تقتضى أن ينزل الله من عليائه - سبحانه - ليلصق
 ويفاسى الآلام، تكفيراً عن خطيئة الشر - وهو خالق هؤلاء
 أسشر، وقادر على أن يطهرهم بغير صلبه - تعالى - وتعديه، وهي
 كذلك لا تحتاج إلى كاهن وكبرى اعتراف، أو تبقى معلقة على
 رأس انفراد لا مخلص له منها ولا فرار...!

إنه بحسب أى إنسان أن يوجه إلى ربه مباشرة نادماً تائباً، غير
 لاح في خطيئته ولا سادر، فيفتح له الله بابه، ويتقبله بين عباده،
 ويمحاه رحمته وعفوه. وباب الرحمة في كل لحظة مفتوح، ولا
 يأس من روح الله ولا قنوط، فليطرق بابه مستأذناً كل طارق، بل
 ليدلف إليه دون استئذان ﴿وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ
 مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْفَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة يوسف الآية : ٨٧).

ويذهب الإسلام في هذا مذهباً بعيداً، حتى ليحسبه المرء عند

انظره السريعة يرين لباس الخطيئة ليتوبوا من الخطيئة ا يقول
 الرسول ﷺ - «كل سى ادم خطاء وحير لخطائين التوابون»^(١).
 ويقول . «و لذي يغسى بيده لو لم ندسو الذهب انه بكم وحاء
 يقوم يذنبون ويستغفرون فيعفر لهم»^(٢)

وهو لا يرين الخطيئة هـ ، ولكن يسير التوبة ، ويملا بموس
 الخاطئين باسرحاء ، ويسر لأرواحهم الصريو ، وعلى هذه الأرواح
 المتعسه الخائمه بالراحه والأمان فلا تطل أبدأ فقه حائرة ممره لا
 بقر لها قرار

ذلك فى الوقت الذى يفرض على صمبر الفرد ابقضة ، ويكلمه
 على نفسه الرقابة ، ويحذره حدة الشهوات المحرمة ، وسة لساء
 والأموان والأولاد ، ويصور له عسوه . اشيطر . حريصا على
 عوايته . دائم الوسوسة له والتربص به ﴿ رين للباس حب الشهوات
 من النساء والنين والقناطير الممطرة من الذهب والمصة والخيل
 المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة لدنيا والله عنده حس
 المات ﴾ (١٤) قل أرسكم بحير من ذلكم للدين اتقوا عد ربهم حيات
 تجري من تحتها الأنهار حالدين فيها وأرواح مطهرة ورسوان من
 الله والله بصير بالعباد (١٥) الدين يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا
 دنوبنا وقا عذاب النار (١٦) الصائرين والصادقين والقانتين والمنفقين
 والمستغفرين بالأسحار ﴿ (سورة أن عمران الآيات ١٤ - ١٧) .

(١) ا حرجه الترمذى

(٢) رواه مسلم

﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا
هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (١) فوسوس لهما الشيطان ليؤدي
لهما ما ورري عنهما من سوء تهما وقال ما بهاكما ربكما عن هذه
الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين (٢) وقاسمهما
إني لكما لمن الناصحين (٣) فدلأهما برور فلما دافعا الشجرة بدت
لهما سوءاتهما وطفقا بخصمان عليهما من ورق الجنة وباداهما
ربهما ألم أنهما عن تدكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما
عدو مبين (٤) قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم نَعَصِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٥) قال هطوا بخصكم لبعض عدو
ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴿ (سورة الأعراف
الآيات ١٩-٢٤)

وكن لإسلام لا يصور الصراع بين الإنسان و لشيطان في هذه
الصورة ليوقع الناس في اضطراب نفسي دائم يحرق شخصياتهم ،
ويعثر قواهم ، بل يصوره بدعوهم إلى اليقظة لدواع اشتر
والخصبة ، وليتهى إلى تسيه أساء آدم وحواء ألا يستسبموا للإعراف
والإغواء .

﴿يَا بَنِي آدَمُ لَا يَفْتِنَكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ
يَسْخَرُ عَنْهُمَا لِنَاسِهِمَا لِيُريَهُمَا سُوءَآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِّنْ حَيْثُ
لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (سورة
الأعراف الآية : ٢٧)

وفى الوقت ذاته يقرر أن خطئته آدم لم تظن مصلته كاسيف
انقطاع على رؤوس أساء آدم، ولم تتطلب كفاره عحية ينهض بها
الله - سبحانه - فى صورة بن الله - فلأمر أيسر من هذا كله وأهون .
﴿فَنَلَقْنِي آدَمَ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾
(سورة البقرة الآية : ٣٧).

وبعد فهذا اليسر كله لا يموت ، لا من يصير على الخطيئة ، وهذه
الأبواب المنحة كلها لا تعلق إلا فى وجه السادر فى الخطيئة :
﴿بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون﴾ سورة البقرة الآية : ٨٠ - ذلك أن الخطيئة
السادرة تعلق القلب وتطمس الصمير ؛ ومن ثم توصد الأبواب
ويحق العقاب .

وما يدع هذه الفرص المتاحة كلها تغلت منه إلا من لا يستحق
الرحمة ومن لا يريد . فأما الكثير من الخطائين النوايين ،
فالإسلام يمح صمائرهم السلام ، ويهب أرواحهم الاطمئنان ،
ولا يطبب منهم أكثر من اليقظة وسحوله - واليقظة والمحاولة لا
مرفق لشخصية ، ولا تورث القلب - ولقد عرف الإسلام فى
واقعه التدريجي رحلاً بلعت يقظة صمائرهم حد لإرهاق ، ولكن
أرواحهم كانت فى دروة الاطمئنان ، وكانوا هم من الواقعيين
لعمليين المنشئين كأعظم ما يكون الرحل لواقعى العمى المنشئ
فى الحياة وعلى رأس هؤلاء جمعاً أبو بكر وعمر مشئ الإسلام
وكافلاه بعد رسول الله - وبهم لسمودخان كاملاً ، للبقظة المرحمة

فى الصبر ، والاطمئنان الواثق فى الشعور ، ونجمع الشخصية ،
ووحدة الاتجاه فى واقع الحياة

التكليف والطاقة

يلاحظ لإسلام بصفة عامة ألا يكلف للمرد فوق طاقتة ، فى
شرائعه أو شعائره ، فالتكليف فوق الطاقة ، إيجاباً أو سلباً ، لا
ينهى إلا إلى نتائج ثلاث .

١ - إما الإرهاق والعسر ، والحرمان والكبت ، وتخطيم لذات
الإنسانية تحت الكبت أو الإرهاق ، ونعويق الحياة عن النمو
المطرد ، والرقى المعتدل

٢ - وإما النмор والحماح والخروح عى الأوامر والنواهى ، ولعداء
لحاماح الذى يفود صاحبه إلى العو فى الإماحة ، كرد فعل
للكبت أو الإرهاق

٣ - وإما القلق النفسى الدائم ، والشعور دائماً بالخطيئة أو
التقصير ، فيما لا خطيئة فيه ولا تقصير وهو عذاب دائم لا
يطاق .

وبذلك يحرص الإسلام على أن يكون تكاليفه كلها فى حدود
الطاقة ، ويرعى الطبيعة الشريه بكل إمكانياتها وهو يشرع إيجاباً
وتحيداً ، ثم يدع لها أن تتطوع بالأكثر فوق لتكاليف المفروضة ، إن
استطاعت ، فى غير صيق ولا حرج ولا مشقة . وبذلك يصونها

من التحطيم ، ويصوب من الحموح ؛ ويصوب من القنن الذي لا
يربح

وفي ذلك يقول الله تعالى في القرآن الكريم ﴿ لَا يُكْنَفُ اللَّهُ
نَفْسًا إِلَّا رُسْعُهَا ﴾ (سورة السقرة الآية ٢٨٦) ﴿ وَمَا جَعَلَ
عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (سورة الحج الآية : ٧٨) ويقول
الرسول العظيم : إن هذا دين يسر لا عسر ولن يشد الدين أحد
إلا غلته^(١) ويهيى عليه عن لتطع والتشدد في تفسير الدين
وفي القيام بكافيته فيقول « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد
عليكم^(٢) أو يقول « إن هذا الدين متين فأوغل فيه رفو^(٣) »
وشبه التشدد لمرهق لنفسه بالمسافر الذي يهلك راحته ولا يدع
عرصه^(٤) « إن المست لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى^(٥) »

وفيما مضى أمثلة على هذا القصد والاعتدال ومراعاة الطاقة ،
ومخاصة في لتنسيق بين لضرورات والأشواق ، وفي الاعتراف
بدواعي الخطيئة والخطيئة ، ولا بأس من أن يسوق منه ناحية أخرى .

إن انفعالات الغضب ووحادات الغيظ انفعالات ووحادات
لا سبيل إلى محوهم أو قتلهم في النفس البشرية لأسباب شتى
بعضها ينشع من الشعور بالذات ، وبعضها ينشأ من تصادم

(١) البخاري والسائي

(٢) أبو داود

(٣) البخاري

(٤) البخاري

المصالح، وعصها تأتي من اختلاف المشاعر والمساكن
والإسلام يدعو إلى السماحة والرفق والشاشة، ولكنه لا يلبي
من حسنه أن مشاعر العصب والغيظ مشاعر طبيعية، فلا يكلف
الناس محوها من النفوس محوًا، ولا يعدها في دأبها حطيئة
وإثمًا، إنما يدعو إلى كظمها وضبطها، لا على أن تستحيل أحقادًا
وصغائر في الصدور، بل على أن يكون هذا لصط سبيلًا إلى
التسامي والتصعيد. وفي هذا أسيل بأحد النفوس البشرية
بالتزعيب والتحصيص لا بالأمر والتكليف ﴿ولمن صبر وعمر إن
ذلك لمن عزم الأمور﴾ (سورة لشورى الآية ٤٣)

﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ (سورة آل عمران الآية ١٣٤)
وهكذا يفرق الصبر بالعفوان، ويتع انكظم بالعفو، لأن
الصبر والكم إن سم يوحيا إلى العفوان والعفو فقد يؤدين إلى
الصعنة والحقد، والإسلام يكره الصعنة وسفر من الحقد، فيوجه
ويرغب في العفو والسماحة، ليعسر النفوس من الغيظ
والعصب، قبل أن يستحيلًا حقدًا وصعنة ويحعل دعاء المؤمنين
المحبوب: ﴿ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا﴾ (سورة الحشر
الآية ١٠) ويصف أهل الحية حين يصفهم بالرفعة والسمو
فيقول ﴿وبرعنا ما في صدورهم من عل﴾ (سورة الأعراف
الآية: ٤٣) ويتحدث عن «عساد الرحمن» فيقول ﴿وعباد
الرحمن الذين يمشون على الأرض هونًا وإذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلامًا﴾ (سورة الفرقان الآية ٦٣) أي فاندوا خطاب
الجاهل الذي لا تهديت فيه بالتحمل والسماحة

والإسلام يكره أن تقع الخصومة بين المسلم والمسلم، وأن تسودهما القطيعة، ولكنه يقدر أن شعور الغضب لا يمكن محوه، ولا يعده ديباً محمداً وفوقه، ولا يقول كالنصرانية الكسبية: «من غضب على أخيه باطلاً كان مستوحش الحكيم». فإذا دعا إلى الصلح والوثام، أعطى فرصة من الرمن تهدأ فيها انثورة، وتحمد فيها الثروة، وتراجع فيها نفس إلى الهدوء والسكينة، فيمنح كلا من المتخاصمين ثلاثة أيام، يمأ فيها عصبه، وتسكن فيها نفسه، قبل أن يلزمهما بالسلاام بعد الخصام: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يشتميان فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلاام»^(١).

والإسلام يكره الخرع لدى تنهاوى سسه النفس، ويتداعى إيمانها بالله وحمائلها للمكروه، لأن لصبر والتماسك مقياس القوة ومقياس الإيمان، فيقول الرسول الكريم: «ليس من صرب الخدود وشفق الحبوب ودعا بدعوى اجاهلية»^(٢). ولكنه لا يعد الحزن والدمع حريمة، ولا يقهر النفس عى السكون الكامل الجامد، لأنه فوق الطقة، وربما قاد إلى القسوة والتحجر. فها هو ذا محمد رسول الله نفسه تدمع عيناه على ابنه إبراهيم، وباحيه وهو مسحى. «يا إبراهيم، إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإن بفراقك يا إبراهيم لحزن»^(٣). إنما

(١) البخارى

(٢) الخمسة لأ. دود

(٣) رواه الأربعة

الصبر الذي يتطلبه الإسلام هو صبر التَّسْبِي والتَّحْمِل وتذكر الله ورد لأمر إليه في الكروب ﴿وَلْيَلْبِذْكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَيَشْرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿(سورة البقرة الآيات ١٥٥-١٥٧)

وهكذا وهكذا لا يكلف الإسلام نفساً إلا طاقتها، فلا تشكل عن التكليف، ولا تنوء تحتها، ولا تبقى قلقة عمرقه بين اسكليف والطاقة، بل نعم بالاستحبة ونطمش بالطاعة، ونفر عيائها وتستريح.

الاطمئنان إلى الله

ويسكب الإسلام في النفس السكينة والأمن والسلام، ليركون إلى الله والاطمئنان إلى حوارته، والثقة في رحمته ورعايته وحمايته، ويتمير الإسلام بأد العلاقة فيه مباشرة بين الرب والعد، لا يدخل فيها كاهن ولا قسيس، ولا تتعلق بإرادة محبوق في الأرض ولا في السماء.

وفي ظل هذه الصلة المباشرة يحس المرء أنه يرتكن إلى القوة التي ليس فوقها قوة، والتي لا تعدلها قوة. وهي أبدأ حصره، وفي متناولها أن يركن إليها ويستعينها، متى أخلص نفسه لها، فلم يشرك بها في شعوره قوة، ولم يحسب لغيرها في ضميره حسناً ﴿وَقَالَ

رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴿ (سورة غافر الآية ٦٠) ﴿وإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَيُؤْمِنُوا بِمِيعَتِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ (سورة البقرة الآية ١٨٦)

وفي ظل هذه القوة تتصاعل قوى الأرض جميعاً وتتساقط أعشبة لعظمة الكدبة، والحروب الرائف، وسدو لأقواء والأعمياء وأصحاب الحاء والنهوذ واسطون حميعاً، أقر ما صعاها صتلاً لا يحكون لاسد صمعا ولا صراً. ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لِمَا هُوَ مُوَلَّانَا﴾ (سورة التوبة الآية ٥١).

فكل قوى الأرض لا يمد على دمنة. ﴿وَإِنْ يَسْتَفْهِمُ الدُّنْيَا شَيْئًا لَا يَسْتَفْقِدُوهُ مِنْهُ صَغْفُ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾ (سورة الحج الآية - ٧٣)

وفي ظل هذه القوة يمد الفرد على ررقه ومكاته، أمنه على حباه وسلامته، فمد من قوة وما من أحد يملك أن يصاره فى ررق ولا من مركز ولا من شىء من أمور الدنيا وأمور الآخرة، وبه نهوى قوى، وكفاء لكل قوة تصدى به، لأنه يستمد من تلك القوة الكرى التى لا يصب لها معين، واستي تصرف الكون كله، وتصرف احبارة والسلاطين. ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَا لَكَ الْمَلِكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (سورة الزمر الآية ٢٦). ﴿إِنْ يَصْرِكُمْ اللَّهُ فَلَا عَاقِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذِلْكُمْ

فمن ذا الذي يصرُّكم من بعده ﴿ (سورة آل عمران الآية ١٦٠) . ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا ﴾ (سورة فاطر الآية : ١٠) ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ (سورة الممتحنون الآية : ٨) ﴿ يأيها الناس ذكرُوا نعمت الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون ﴾ (سورة فاطر الآية : ٣) .

فإذا تكاثفت قوى الأرض جميعاً لتغى به الأذى ، فما هي تقادرة إلا أن يشاء الله فإذا شاء الله أب ياله الأذى ، فهذه لك حكمة سامية لله ، وهالك حير أعلى من حير الفرد المحدود ، بل هالك خير لهذا الفرد قد لا يعلمه للحظة ، ولكن الحالى الأعظم المحيط بالكائنات يعلمه ﴿ وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾ (سورة البقرة الآية : ٢١٦)

وما على الفرد إلا أن يسلم نفسه لله ، وإلا أن يحسن رضا الله عبيه ، وإلا أن يحامد ليحعل كلمة الله هي العليا ، وليحقق إرادة الله فى الأرض ولا يستسلم يوماً ولا يهن ولا يأسى على سبيل ما فاته فى هذا ولا يترحم ، وكل ما قدمه فى هذا السبيل فهو محفوظ له عند ربه ولن يصيبه : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ (سورة آل عمران الآية : ١٦٩) ﴿ والله معكم ولن يتركم أعمالكم ﴾ (سورة محمد الآية : ٣٥)

والله بعد ذلك كله حتى به مكرم له : ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في أنسٍ والبحر وررقتناهم من الطّيبات وفصلناهم عني كثيرٍ ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (سورة الإسراء الآية ٧٠) وهو به رحيم وعليه حان إن أثم قبل توبته وعفا عنه ، أو حاسه على السيئة سيئة ، وإن صل هداه وأرشده ، وإن أحسن صاعف له الحراء ، وما يحق عقابه الشديد إلا على الذين يلحون في العويّة .
﴿ عافير الدبّ وقابل التّوب شديد العقاب ذي الطّول ﴾ (سورة غافر الآية ٣) ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلهما وهم لا يظنّون ﴾ (سورة الأنعام الآية ١٦٠) .

وبذلك كنه تطمئن النفس وتسكن وشق ، فلا تهزها الأحداث ، ولا تذهب بها الأهوال ولا تفرع من شيء ولا تخاف . ﴿ الدّيس أموا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ (سورة الرعد الآية ٢٨)

الضمانات والتأمينات

وعد ، فالإسلام بحسب نظره لكلية إلى الحياة ودوافعها ودواعيها ، وضرورتها وأشواقها ، ومدياتها وروحانياتها . لا بكل لفرد إلى عقيدته الروحية في الصمير ، بل يعينه عليها بتحقيق أسسها في عالم الواقع . معالم الواقع في الإسلام إن هو إلا ترجمة العملية لعالم الضمير .

ومن ثم فهو لا يقف عند توفير الصمامات لفرد باطمئناؤه إلى الله . بل يشرع لحياته الواقعة ما يكمل انصمامات لمطمئنته فلا يحس لفرد من حوله إلا أمب وعدلاً وكفاية للضرورات .

إن الإسلام يؤمن لفرد من كل اعتداء عتداء فرد مثله ، أو عتداء حاكم عليه ، ففهر يشعر بأنه يعيش في وسط يحبه ولا يعاديه ، ويحرص على دانه وماله وعرضه « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »^(١) . « كل مسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله »^(٢) . « والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن »^(٣) . « قال : لذي لا يأمن حاره »^(٣)

وليس للحاكم عليه من سلطان إلا في حدود القانون . القانون الإلهي الذي يحصع له كما يخضع السلطان سواء . والذي لا يستمد من هوى الحاكم ، ولا هوى طقه ولا أمة ، ولا يسر ليحقق مصلحة الحاكم أو لطفقة أو أمة . هي شرعه الله له الجميع ومالك الجميع لمصلحة الجميع وخصص له حصوع لله ، لا لعبد من عباده ، والصمامات فيه للجميع ، لأنه مشروع للجميع .

وتلك ميزة قيام لدولة على شريعة الدين وقبوه فالحرية الكاملة من كل عسودية أرسية لن تكون إلا في ظل مثل هذا لقانون وماد مت جماعة من اسشر أياً كانوا يسرعون لجماعة

(١) الخمسة إلا أنا داود

(٢) أخرجه الستة إلا الساني

(٣) أخرجه الشيخان والنمظ لسحاري

من لنشر، فلن تتحقق الكرامة المطلقة، ولن تتحقق المساواة المطلقة، ولن تتحقق المصالح المصطفة إن احكامين سيحسون دائماً أنهم أرباب، لأنهم هم الذين يصنعون التشريع، وإن القانون سيطر دائماً في مصلحة طبقة دون طبقة، ولن يحقق مصالح الجميع هالك حالة واحده يحصع فيها الفرد للقانون وهو شاعر بعزته كاملة وحريته كاملة ومصالحته كاملة حاة ستمداد التشريع كله من شريعة الله، الذي لا حاكم إلاه، ولا مسيطر سواه، ولا مصلحة له في نصرة طبقه على صفة ولا إحصاع طبقة لطبقة، وعدئذ فقط يطمئن الفرد إلى العس المطلق وبسبب وبعئذ فقط يصام احكام من كبرائه لتي يستمدها من سلطة التشريع، ويحسن أنه لا يملك شيئاً، لا أن ينفذ القانون الإلهي، الذي فرض عليه وعلى كل فرد سواء . وهذا هو التحرر الكامل الصحيح .

والإسلام يوفر للفرد في قانونه هذا كل ضماناته بحفظ عليه حياته وماله وعرضه، فلا تمس إلا بحق الله فيها، ويحميه من السحرية منه، أو التحسس عليه أو اعتيابه، أو أحده باطنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا حَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ حَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بَشَرُ الْأَسْمَاءِ الْمُسَوَّاتِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٥٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا

أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَحِبِّهِ مِثْلًا فِكْرُهُمْوهُ وَتَقْوَا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴿ (سورة الحجرات الآيات ١١ ، ١٢)

ويصمّر له حرية داره وحرمةها فلا يتسورها عليه أحد، ولا
يدخلها غير إيمه أحد ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ
بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ (٢٧) فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ
وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ
﴿ (سورة النور الآيات ٢٧ ، ٢٨)

حتى الحرمة لا يحور إثباتها بسور السيوت والتحسس على
الناس في مأمهم وقد روى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه
مر في إحدى حولاته الليبية سبت سمع فيه صوت رجل وامرأة
لعله ربه ، فتسور الحائط لينظر ، فوجد رجل وامرأة ومعهما رق
حمر فقال عمر يا عبدو الله ! أكنت ترى أن الله يسرك وأنت
على معصيته ؟ فقال الرجل ، يا أمير المؤمنين ! أنا عصيت الله في
واحدة وأنت في ثلاث : فله يقول ﴿ وَلَا تَجَسَّسُوا ﴾ وأنت
تجسسيت عليا ، والله يقول ﴿ وَأَتُوا الْيُسُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾
(القرة ١٨٩) وأنت صعدت من الجدار ونزلت منه والله يقول
﴿ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾
وأنت لم تفعل

وهكذا لم يجد عمر أنه يملك عفاه لأن «الإجراء» كانت باطلة!
فاستأباه!

وبمثل هذه الصماتات يكفل الإسلام للفرد طمأنينته وحرية
وحرمانه جميعاً فإذا اعتدى عليها معتد والقصاص حاصر أنا كن
هذا المعتدى، ولو كان الحاكم الأعلى، فما مير الإسلام في قانونه
ولا في واقعه التاريخي - حينما كان يحكم - بين خليفة أو أمير وبين
فرد من عامة المسلمين في القصاص - محمد رسول الله كان يفيد
من نفسه، وعمر بن الخطاب يدع ابن المصري من عامة الشعب
بضرب «ابن الأكرمين» ابن عمرو بن العاص حاكم مصر حتى
يرضى، وعلى بن أبي طالب يحاصم بصراية سرق درعه إلى
قاضييه شريح، فيحكم القصاص صده لأنه لا يملك بيتة على
السارق، فيتسم الخليفة ويرضى!

وهكذا وهكذا لا يتسع المجال لتفصيله هنا وحسباً به
الإشارة (١)

ثم يصور الإسلام للفرد رفقته في عتق الجماعة يضمه
بالعمل والنصفة في الأحرار عند القدرة، وبالصماتات الاجتماعية
عند التعطل وعند العجز وعند المرض وعند لشحوحه، ويكفله
للطفل رصبعاً وياشاً حتى يفدر على العمل ويستفصل الحديث
في هذه الصماتات كلها عند الكلام عن سلام المجتمع، فحسبها

(١) يراجع مصر من ج. مع ابن يحيى في كتاب «العدة الاجتماعية» في
الإسلام!

هما ما يشير إلى صمدات الفرد التي تدخل السكينة إلى نفسه
والإطمئنان إلى روحه في واقع الحياة العملية، بعد السكينة
لروحانية التي يحددها هي لعقيدة الإسلامية.

وإن لإسلام سوفر أسس السلام كلها في قرارة الضمير،
وشعاره هي هذا المحال ما أعربا عنه في أول الفصل «لا سلام
لعالم ضمير الفرد فيه لا يستمتع بالسلام».

سلام البيت

البيت مثانة وسكن ؛ وفي ظله تست الصلوة ، وتدرج الحادثة ،
ومن سماته تأخذ سماتها وطامعها ، وفي جوه تتنفس وتتكيف .
وكم من أحداث وحوادث وقعت على مسرح المجتمع ، وأثر
في سير التاريخ ، تكمن بواطنها الخفية في مؤثرات بيئية
والفرد ، الذي لا يستمتع في بيته بالسلام ، لن يعرف للسلام
قيمة ، ولن يتذوق له طعمًا ، ولن يكون عامل سلام وفي أعصابه
معركة ، وفي نفسه قلق ، وفي روحه اضطراب .
والإسلام يتجه إلى بدر بدور السلام في البيت ، في الوقت ذاته
الذي يتجه فيه إلى الصمير المردي ، وإلى المجتمع الدولي
فكلها حقائق مصامة ، وفيما بينها رابط وانصال

الرابط المقدس

يبدأ الإسلام أولاً بتصوير العلاقة السيئة تصويراً رفاق شقيقاً ،
يشع منه التعاطف ، وترف فيه الطلاق ؛ ويشع فيه الهدى ، ونفوح

منه العبير ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ حَقَّقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا
 إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ (سورة الروم الآية ٢١)
 ﴿هِيَ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهَا﴾ (سورة البقرة، الآية: ١٨٧).
 فهي صلة النفس بالنفس، وهي صلة السكن والقرار، وهي صلة
 المودة والرحمة، وهي صلة الستر والتحصن، وبك لتحصن في
 الألفاظ دأبها حنواً ورفقاً، وستروح من حلالها بدوة وطلاً
 وإيها لعبير كامل عن حقيقة الصلة التي يقرصها لإسلام ذلك
 الرباط الإنساني الرقيق الوثيق. ذلك في الوقت الذي يلحظ فيه
 أعراض ذلك ارتباط كلها بما فيها امتداد الحياة بالأولاد، فيصح
 هذه الأغراض كلها طابع لنطافة والبراءة، ويعترف بعظمايتها
 وحديتها، ويسوي بين تحاهاها وممتصباها، ذلك حين يقول
 ﴿سَاءَ لَكُمْ حَرْثَ لَكُمْ﴾ (سورة البقرة الآية. ٢٢٣) فيلحظ كذلك
 معنى الإخصاب والإكثار

يحيط لإسلام هذه الخلية، أوهد المحصن، وهذه النشأة،
 تكن رعابته وبكل صممايته. وحسب طبيعة الإسلام انكسية، فيه
 لا يكتفى بالإشعاعات الروحية، بل يتبعها التنظيمات القانونية،
 والضمائم التشريعية.

فأولاً: لابد في هذا الارتباط من الرضا والاستئذان، فلا تروح
 المرأة بغير إذنها ورضاها «لا تكح الثيب حتى تستأمر»، ولا تكح
 الكمر حتى تستأذن وإذنها الصموت^(١). ولابد فيه من الرؤية

(١) أخرجه الشيخان

لكون هذا الرضا حدثاً وقائماً على حقيقة، ومسعتاً من شعور.
«فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»^(١)

وثانياً لابد فيه من علانية وإشهاد، فلا يتم في السر والخفاء
كما تنم الجريمة، ولابد من إيجاب وقبول صريحين بشهد عليهما
الشهود، فلا يبقى ظل من شك أو عمروص في قيم هذا الارتباط،
حتى ليستحب دق الطول لهذه المناسبة زيادة في الاعلان!

وثالثاً لابد فيه من بية التأيد لا التوقيت، فإذا نوى أو صرح
بأن يكون هذا الروح موقوتاً بزمان لم ينعقد. لأن هذا الارتباط
مقصود به السكن والاستقرار، مقصود به أن يركز إليه الروح جان
في اطمئنان، وأن يسيا في ظله الحياة وهما واثقان آمنان

ولكى يهيئ الإسلام للنسب حوه، ويهيئ للمراخ الناشئة فيه
رعانتها. . أوجب على الرجل النفقة وجعلها فريضة، كي يتاح
للأم من الجهد ومن الوقت ومن هدوء البال ما تشرف به على هذه
الصراح الرعب، وما تهيئ به لثمثة بطنها وعطرها وبششها
هالأم المكدودة بالعمل للكسب، امرهقه عفتصيات العمل، المقبدة
بمواعيده، المشتتة، لطاقه فيه لا يمكن أن تهت لسميت حوه
وعطره، ولا يمكن أن تمسح الطفولة لسة فيه حقها ورعايتها
وبيوت الموظمات والعاملات ما تزيد على جو المصدق والخانات،
وما يشيع فيها ذلك الأرج الذي يشيع في البيت. فحقيقة البيت لا
توجد إلا أن تنشئها امرأة؛ وأرج البيت لن يفوح إلا أن تطنقه

(١) من حديث عن المعبره بر شعبة ذكر صاحب مصابيح نسبه أنه من حسن

روحة ؛ وحن البيت لن يشيع إلا أن تتولاه أم . والمرأة أو الروحة
أو الأم التي تقصى وقتها وجهدها وطاقتها الروحية في العمل لن
تطلو في حواشيب إلا الإرهاق والكلال والملال !

إن حروح المرأة لتعمل كارثة على البيت قد تبيحها الضرورة ،
أما أن يتطوع بها السس وهم قادرون على احتسابها ، فذلك هي
اللعة التي تصيب الأروح والصمائر والعقول ، في عصور
الانتكاس والشروء والصلال .

وفي سبيل لاستقرار البيت وقطعاً لدير الموضى والسرع فيه ،
جعل الإسلام لقوامه فيه للرحل ، وذلك تمسكاً مع سياسة الشظيم
التي يحرص عليها الإسلام حرصاً شديداً ، والتي جعلت الرسول
يأمر الرحال أن يؤمروا ، عليهم أحدهم حتى لو حرح ثلاثة في أمر
فأحدهم أمير .

إن توحيد القيادة ضرورى لأمن السفينة ، وفي سفينة لبيت
لا بد من قيادة تحتمل التسعة ، وتحمط انطام أن يتكث ، وما في هذا
من شدوذ على القاعدة الإسلامية العامة في عالم الرحال أيضاً
فأى الروح حين كان المطلق كمالاً بأن يسلمه القيادة؟ المرأة لمشونة
الموظم والانفعال بحكم وطيعتها الأولى في رعية الأظمال
وتعطير حواشيب بالحنان؟ أم الرحل الذي كلمه لإسلام الإنفاق
لتحلو المرأة إلى عينها الصحم ، وسفى فيه طاقتها ووسعها؟ لقد
جعل له الإسلام انقوامه ، تحقيقاً لنظمه المطرد أن تكون في كل
عمل قيادة وقوامه ، واحتاره لأنه سحلقته وتجاربه أصبح الآشين
لهذه الوظيفة .

وهكذا حين تعرض مسألة هي بسبب صحتها هذه وفي و صوحها ،
يكشف ذلك اللعظ الهادر الذي تلوكه ألسنة الفارغين والفارغات
في هذا الرمب حول هذا الصدم ، ويتحلى أن فرع الحياة وفراع
الفلوب وفراع العقول ، هو لدى يشي ذلك اللعظ ، ويجعله
موضوع جدل ومادة حديث وهو نظام قصده الإسلام أن يكون
حقه من حلقات السلام في است ، وصممة بالاستمرار فيه
والنظام ولكن في عهد لا تكس ، وفي فترات الفراع من
حيات لأمر ، لا يبقى للمجتمع ما يحفل به ، لا الفسات
والقشور ، وإلا الهذر واللحاح !

الاختلاط والتبرج

وفي سبل السلام السنن ، وإشاعه الثقة و ليقن فيه كان ،لهي
عن الترح ، وكان التحرج من الاختلاط ، وكان الأمر بالحشمة
والمحفظ ، حتى لأصهت المؤمنين في عهد الرسول : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ
قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ﴾
(سورة الأحزاب الآية ٥٩) ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ
أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ حَسِيرٌ بِمَا
يَصْعَقُونَ ﴾ (٣) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ
فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُدْنِينَ رِيشَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى
جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُدْنِينَ رِيشَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ
أَسْنَانِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ سِيِّمَاتِهِنَّ

أَوْ نِسَائِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرَّةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوْ الظُّفُنِ الَّذِينَ لَمْ يَطْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَصْرَبُونَ
بِأَرْحُلِهِمْ لِيَعْلَمَ مَا يَحْمِلُونَ مِنْ رِيْسَتِهِمْ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ ﴿٣٠﴾ (سورة النور الآيات ٣٠ ، ٣١)

إن من حق الرجل كما أن من حق المرأة أن يطمئن كلاهما إلى
رفيقه ، وألا يتعرض للإعراء الذي قد تتحرف معه عواطفه عن
شريكه ، إن لم يهده الأسحرف إلى الانزلاق والخطيئة ، مما يهدد
ذلك الرباط المقدس ، ويطيّر عن حوه الثقة الكاملة والاطمئنان .

هذا الأسحراف في العواطف والانزلاق إلى ما هو أسعد ، واقع
كل يوم وكل لحظة في المجتمعات التي يطلو فيها الاحتلاط ،
وتنطلق فيها المرأة متربة مترجة ، وتنطلق معها شباطين الفتنة
والإعراء وهذر فارغ يكذب الواقع ما تلح به ألسنة السعدوات هما
وألسنة الشاردين هناك من أن الاحتلاط بهدب المشاعر ، ويصرف
الطاقات المكبوتة ، ويعلم بحسين آداب الحديث وآداب المعاشرة ،
ويروى بالحرية التي تصون من الرلل وأن لاحتبار القاتم على
اتحرية الكاملة - حتى عصر الخطيئة - كميل بأن يمسك الشريكين
كلًا لصاحبه ، لأنه إنما اختاره عن رضا ، وبعد تجربة

أقول هذر يهدمه الواقع ، واقع الأسحرفات الدائمة والحوالات
المستمرة في العواطف ، وتحطيم السيوت بالطلاق وغير لطلاق ،
وانتشار الحيات لروحية المزدوحة في تلك المجتمعات

إن التجربة الكاملة لا تمنع أن تسر في حيلة لروح أو أروجة

بالاحتلاط اطلاق شخصية أخرى أقوى وأكمل وأشد جاذبية
فماذا يقع حينذاك؟ إما أن ينزلق الروح أو تنزلق الروح استجابة
لهذا الهوى الجديد. وإما أن تقوم هو أو هي احتفاظاً بالواحد،
فيفزع في انقلق والخيرة والاضطراب. وكلاهما طريق لا يعود إلى
سلام في القلب ولا إلى طمأنينة في الروح، ولا إلى أمن في
البيوت ودع عنك بدلي الإنسانية في الفاحشة، وارتكاسها في
الهمجية، وارتكاسها إلى مثل قوصي الحيوان وبروتة المطلقة العنان!

فأم حرافة لتهديب ولتصريف لطيف بالهاء وبالحدث.
فيسألوا عنها نسبة الخالي من تلميذات المدارس الثانوية الأمريكية،
وقد بلغت في إحدى المدن ٤٨ من مائة^(١) وأما البيوت السعيدة
بعد زواج الاحتلاط المطلق والاحتبار الكامل فليسألوا عنها نسبة
البيوت المحطمة بالطلاق في أمريكا، وهي تقفر فترة بعد فترة كلما
ازداد الاحتلاط وكما تم الاختصار! وهذه لسة المهيمة تمضي في
هذه المخطوط، حسب إحصائية أمريكية صدرت في سنة ١٩٥٠

النسبة في المائة	أشايح
٦/	سنة ١٨٩٠
١٠/	سنة ١٩٠٠
١٠/	سنة ١٩١٠
١٤/	سنة ١٩٢٠
١٤/	سنة ١٩٣٠
٢٠/	سنة ١٩٤٠
٣٠/	سنة ١٩٤٦
٤٠/	سنة ١٩٤٨

(١) في إحصاء عن مدسة "الدمر"، عاصمة ولاية كولورادو. وأحب أن ماضون في
طريق دمر بعد أن احترق لأنك أخيراً هذا الطريق النقيض!

والسقية تأتي من لسوت المحضمة تحت مطارق اشهوات
الحامحة، والرغبات المتقدة، والقلق الحاح؛ الذى يثيره تقلب
العواطف فى المحسم لمحتلق، الذى تلوح فيه للأرواح
والزوجات مزيا حديدة فى ساء حدد ورحال، فينفلت هؤلاء
وهؤلاء إلى صيد حديد، وتتأرحح السيوت فى مهاب الريح، كلما
لمح روح أو لمحت (روحة بارقة لامعة فى شخصية حديدة، كما لو
كد الزوج أو كانت اروحة قطعة أثاث أو رباط عتق أو ربا حديداً
فى عالم «الموداب»!

لقد أن ر تراجع الشرية تلك النظرات اخصالية اخاوية التى
تقور: إن الاحتلاط تصريف حزئى ملطف نطف، وإن التحربة
تقود إلى الاحيار، وإن الاحتيار طريق الاستقرار

بها بطرات تسو منطقة؛ ولكن التجربة الواقعة؛ التى بلغت
فى أمريك بالذات غايتها، كقيلة بأن تسخر من هذا المنطق
الظاهرى الراق! فلم يؤد الاختلاط إلى تصريف نظيف، إنما أدى
إلى بهيمية كاملة تطيع الروات الحسدية وتسيها بلا حد ولا قيد
ولم تؤد التحربة الكاملة والاحتلاط المطلق إلى التماسك فى
السيوت؛ ولا إلى استقرار وثبت، إنما أدى إلى تفكك دائم؛
وطلاق متزايد، وجوع مستمر ومعار!

وإن التحربة الأمريكية فى هذ المحال لتحسه اراء «فرويد»
وأمثاله بالتكذب. إنها لتصرخ فى وحه من يريد أن يسمع، بأن
الاختلاط الدائم مدعاة إلى تهيج دائم، إما أن ينتهى إلى دروته
وعايبه فيبظمى مؤقت ريثما يعود إلى الاشتعال. وإما ألا ينتهى إلى

هذه العناية العممية المادية، فتؤدي إلى الصعظ لعصى ومورءه من أمراض.

ولقد كان الإحلاص العلمى وحده كفيلاً بإعادة النظر فى هذه النظريات كلها على ضوء التحررة الأمريكية الواقعية، لتي تشهد بأن الدوافع الجسدية من القوة والعمق بحيث لا يطمئنها تصرف الاختلاط، ولا حتى تصريف، لارتواء فأت لا تسكت جوعة المعدة شمم رائحة اشواء، بل تريدها تشهياً! وئت لا تسكت هذه الجوعة كذلك بالأكمة لدسمه المتحمه إلا إلى حين، تفيق بعدها وهى أشدها تشهياً وأطلب للأكلات الدسمات! وما جوعة الجسد إلا كجوعة المعدة كلتهما دائمة. وقد شاءت لها القدرة الخالقة هذا الدوام، لأنها تنوط بها مهمة دائمة فى امتداد الحياة وارتقاء الحياة. وهذا هو لذى تصرح به التحررة الأمريكية فى وحوه النظريات والخيال!

ولقد كان الإسلام يقدر هذا كله، وهو يشير باخشمة، ويتحرج من الاختلاط، ويأمر بغص الأصدار، ويحرم الترح نقد كان يريد للصمائر أن تقر، وللأروح أن تعلمش، وللبيوت أن يهدأ لقد كان يريد السلام للعشر ابدى يس ملكاً للروح وليس ملكاً للروحه، فهم فيه راعيان للفراح اربعب، أمينان على الطمونة الباتة، حارسان للحياة المتمتحة فى مثانة لأمان

الحدود

وين لإسلام ليكره أن نشيع الفاحشة فى المجتمع. ﴿إِنَّ الَّذِينَ

يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ (سورة النور الآية: ١٩) . ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّسَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سِيلاً﴾ (سورة الإسراء الآية: ٣٢) . ولشروع الفاحشة أثره الفاحش في تحطيم أسس المجتمع ، ولكن لدى يعنينا في هذا الموضوع أثره في أمن البيت وسلامه ، وحرص الإسلام على هذا السلام .

إنه يبدأ بأسباب الوقاية على نحو ما أسفنا : بأمر بالحشمة ويحرم الترح ، ويتحرج من الاختلاط ، ويحاول تيسير الإحصان بالزواج عند الاستطاعة ، حتى ليدعو المسلمين إلى مساعدة من يسعى الرواح بالمال فإذا تعدر فهو بدعو إلى الصوم تطيقاً لضرورة الحسد «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أعصر للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»^(١) وهو يحث في الرياضة والفراسة ملاحظاً هذا المعنى بجانب غايات الفروسية الأخرى

وما من شك في أن التربية الإسلامية المعتدلة المتسقة ، ونوقى مواضع الإثارة وأسباب الفتنة بتحريم الترح ، ولتطرى في الحديث والتحرج من الاختلاط هي غير ضرورة قهرة ، مع أخذ الحسم بالرياضة والصوم ، والتكثير بأرواح محرد الاستطاعة من من شك في أن هذه كلها عوامل يحمية في صسط النص والحسد إلى حين .

(١) البخاري .

وابسعاوت هما والشاردون هناك يقولون: إن هذا الصبط لابد
مؤدّ إلى «العقد النفسية»، ذلك أنهم لا يتحيدون صورة للمجتمع
إلا تلك الصورة القدرة، صورة الشبن الهائحين محتكين بالفتيات
الفائرات صورة الأفخاذ واليهود عارية بارزة صورة لظرات
جاهرة في العيون والشهوات بضحة في أشفه. تدفعها كلها
وتؤججها مناظر الأفلام الداعرة، وصور الصحف المحرمة،
وأصوات المخشيين والمحتشات في الإداعة، والتوجيهات الخبيثة في
كل أجهزة التوجيه والإعلام العامة، ومن وراء ذلك كله الترف
والفرغ في جانب، والعوز والاحتلال في جانب ومن حول
ذلك كله تجار الأعراض ومحايث الفوائد!

إن مجتمعاً هذه صبرته ليتعد فيه الصبط، لأن عوامل
الفتنة كلها فيه هائجة صاخبة حامية طليقة. وإن مجتمعاً هذه
صورته ليعز فيه على انفسوس القرار، ويعمر فيه على البيوت
السلام ويكن المجتمع الإسلامي شيء معايير له، كله من
الأسس إنه مجتمع يحارب العوز ويسده، ويحارب الاحتلاط
والترشح، ويحارب التخث والتأث، وتشتعل أجهزة التوجيه
والإعلام فيه بتوجيه الناس إلى الخير والفصيلة، وبالظافة والعمة،
وتقوى الله ومراقبته، وتعبيدهم كذلك الله وحده! وهو بعد ذلك
كده يملاً فراغ الحياة بهموم كبار في سبيل الله وفي سبيل الإنسانية،
ويملاً فراغ الوقت بالعمل، فلا يوحد فيه أولئك الفارغون
والفارغات الذس لا يحدون ما يملئون به حياتهم، ويصرفون فيه
طقتهم، إلا الشهوات والنروات، وإلا الترف الماحر الداعر في

الحملات والسهرات والرحلات والمعسكرات محتصة ومصايفة
طلاب البدائد والمع من السائحين والسائحات !

إن الإسلام لا يدع كثوس الخمر نهج الدم في العروق، ويهود
الخليعات وشماهه الطائمة وبطراتهن الماحرة تهتف بالرجال ثم
يكلف الرجال أن يضطوا برواتهم ويكسحوا شهواتهم^١ . كلا
إنه يأخذ الأمر من أطرافه جميعاً، ويأخذ على أسباب الفتنة
الطريق منذ الخطوة الأولى، ثم يكلف لباس ما في صوقهم
حينذاك، بدون مشقة وبدون إعانات .

فإذا وقعت الماحشة بعد ذلك، فهي سبيل سلام البيت وفي
سبيل تماسك المجتمع يأخذ الأمر بعقوبات رادعة يوقعها على
ماحشين والمباحشين ﴿الرأية والزاني فاحلداوا كل واحد منهما
مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر وليشهد عدايتهما طائفة من المؤمنين﴾ (٢) الرأي لا
يكح إلا زانية أو مشركة والزنية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم
ذلك على المؤمنين ﴿(سورة اسور الآيات ٢، ٣) وقد عاف
النبي ﷺ بالرحم للمحصن والمحصنة لا بالخلد، وعاقب به
الخلفاء بعده

وتسمع من المسعاوات ها ومن الشاردين هناك أنها عفو
قسة أما تحطيم السيوت، وقلق الصمائر، وتدلبيس الأسباب،
عما هي بقاسية قسية لأن المترفين والمترفات، والداخرين
ولداعرات، يحسون - وهم يصمون بها بالقسوة - وقع السباط على

حلودهم الساعمة لمرحلة، ونقح الأحجار في أحسادهم اللية
الرحصة إبه يدفعون عن أنفسهم وهم يتشدقون باسم القوانين
المتحضرة، وينعتون حدود الإسلام بالقسوة أو بالهمجية وهم
الهمج المتكسون إلى حياة الهيمنة الأولى.

والإسلام مع ذلك لا يقصى بهده العقوبة الرادعة إلا في
حالات لتأكد المطلق لدى لا شبهة فيه، وفي حالات الإحصاء
بالزوح حيث تنهى حاجة القاهرة، أما غير المحصنين وغير
المحصنات فعقوبتهم أحف ويست تتحاور الخلد.

والسبي عليه السلام يقول: «درءوا الحدود بالشبهات»^(١) لأن الحرية
التي تقوم عسيب شبهة، ليست هي الحرية الواضحة لطاهرة
المتصححة، وهي أولى بالعطف ولتحفيف، وفي التعزير ما يكفي
لغير المحرم المتصحح بحرمة حتى لبرها الشهود. وهم في حالة
لزنا أربعة يتأكدون جميعاً من وقوع الفعل بلا شك في نفس
واحد منهم، ولا مطعن في عدالته. ولا فلا رجم ولا حد

وإذا عرفنا أن التحسس ونسور الأبواب واقتحام البيوت الخاصة
ممنوع، فإن صمد هذه الحرمة ودونة الشهود لها على الوضع الذي
بشرطه للإسلام لإقامة الحد، لا يكون عالماً إلا في حالات التفتت
لف صحة، والتصحح بالحرية في الأماكن العامة وتلك إشاعة
للفحش واستهجار بالكرمة ولعرض، لا توصف معهم العقوبة
بالقسوة عند دوى الفطر استقيمة والطباع لسلبه

(١) في مسند أبي حنيفة للحارثي

ومنع لشروع الاتهام بالحق وبالناسطل يعاقب لإسلام باخذ
والحرمان من الثقة وبفساط الشهادة كل من يرمى امرأة محصية
أو رجلاً محصياً بالتهمة ولا يأبى شهود أربعة ﴿والذين يرمون
المحصات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا
تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾ (١٤٨) إلا الذين تابوا
من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴿سورة النور
الآيتان ٤ ، ٥﴾ وذلك كي لا يشيع الاتهام ويشيع القلق في
الموسى والسوت ، وتشيع قاله السوء في المجتمع ، فتفقد
الثقة ، ويحل مكانها التشكك والخوف ﴿لا يحب الله الجهر
بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً﴾ (سورة
النساء الآية : ١٤٨)

فيما جاءت المهمة على لسان روح ، ومن يكر له شهود ، فإن
الإسلام بعدد ظروف اسبوت وتعذر لشهود ، فعصيه من العموبه
إذا هو شهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، وشهادة خامسة
بأن يلعنه الله إن كان من الكاذبين ويقها هي من العذاب أن تشهد
أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، وشهادة خامسة بأن عصب الله
عنها إن كان من الصادقين ، ويهرق سهما يهده «الملاعة» حيث لا
تستقيم الحياة بعد ذلك ﴿والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم
شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن
الصادقين﴾ (١٤٩) والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين
(١٥٠) ويذراً عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن

الكاذبين (٨) والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ﴿ (سورة النور الآيات : ٦-٩)

الطلاق

والطلاق؟ إنه صمام الأمن في هذه الخلقة . إنه أبغض الحلال إلى الله ولكنه مكروه سيحه لصروده ، تحفيهاً بسلام الحقيقى في حواليت حين يعر لسلام عن كل طريق سواه . وبه لاعترا ف بسطق الواقع انذى لا يحدى فى إنكاره حدلقات المتحدلفين ، ولا تدفع وجوده كذلك أحلام الشعراء . إن هالك حالات و قعية تتعدر فيها الحياة لروحبة ، فإمساك لزوحين على هذا الرباط مرغمين لا يؤدى إلى خير ، ولا ينتهى إلى سلام .

والإسلام لا يسرع إلى رباط الزوحية المقدس فمقصمه لأول وهلة ، ولأول بادرة من خلاف . إنه يشد على هذا الرباط بقوة ، ويسمسك به فى استماتة ، فلا بدعه يملت إلا بعد المحاولة واليأس والمحال

إنه يهتف بالرحم ﴿ وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ (سورة النساء الآية ١٩) فيميل بهم إلى التريث والمصاره حتى فى حالة الكراهية ، ويمتخ لهم تلك السافده المحهولة ﴿ فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً ﴾ فما يدريهم أن فى هؤلاء السوءة المكروهات خيراً . وأن الله يدحر لهم هذا الخير فلا يحور أن

يعلتوه، إن لم يكن ينسعى لهم أن يستمسكوا به ويعروه! وليس
أسخ من هذا في استحياء الانعطاف الوحياني واستشارته،
وبرويص الكره وإطفاء شرته.

فيذا تجاوز الأمر مسألة الكره والحب إلى الشور وانفور،
فليس الطلاق أو حاطر يهدي إليه الإسلام، بل لابد من محوطة
يقوم بها الأحرار، ونوفيو يحاوه الخيرون. ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ
شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا
إِصْلَاحًا يُوَفِّيهِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء
الآية: ٣٥).

فيذا لم تحدد هذه الوساطة، فالأمر إذن جد، وهالك ما لا
تستقيم معه هذه الحياة، ولا يستقر بها قرار وإمسالك الزوجين
عنى هذا الوصح إنما هو محاولة فاشلة، يريدونها الصعط فشلاً.
ومن الحكمة التسليم بالواقع، وبهاء هذه الحياة عنى كره من
الإسلام، فإن أغض الحلال إلى الله اطلاق ولعل هذه استمركة
تثير في نفس الروح رعة حديدة لمعودة الحياة، فكثيراً ما يتفقد
الشيء بعد أن يفقده، ويرى حسياته عندما يحرمه والعريضة لم
تصح ﴿لَطَلَّاقٌ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾
(سورة البقرة الآية ٢٢٩) على أن الطلاق يحجب ألا يقع في
فترة الحيض. بل يسعى أن يقع في طهر لم يكن فيه وطء وهذه
مهلة يد فيها لإسلام، عسى أن يسكن العصب، كد هو الذي
يوحي بالطلاق ثم هناك فترة العدة في حالة الدحون بالروحة،
بعد الطلاق الأول، ثلاثة أشهر على وجه التقريب إن لم يكن

هناك حمل ، وحتى الوضع إن كان وعلمه أن يتفق عليها في هذه
المررة ولا يقتر في المقة وفي خلاها يحوز له إن كان قد ندم أن
يراجع روحه ، وأن يستأنها حياهما بلا أي حرء جديد فهو
طلاق رجعي ، والحياة الروحية قابلة للاستئناف بأيسر الأسباب .

فإذا تركت مدة لعدة تمضي دون مراحة ، صار الطلاق بائنا
ولكن الفرصة بعد لم تصع ، وفي استطاعتهم أن يستأنها هذه
الحياة متى رعبا ، ولكن بعقد جديد

وتلك هي التجربة الأولى ، وهي تكشف لكلا الزوجين عن
حقيقة عواطفهم ، وعن حدية لأسباب التي انفصلا سببها فإذا
تكررت هذه الأسباب أو حدثا سواها ، ولندفع الزوج إلى الطلاق
مرة أخرى ، فعدئد لا تقى سوى فرصة واحدة ، هي الثالثة وهي
الثانية بدير . فإذا وحدا أن الحياة مستطعة من جديد ، وإذا كشفا
في مشاعرهما عن بقية من ود ، أو عن دفين من حب ، عاودا هذه
الحياة

فأم إذا كانت الثالثة ، فلعلة إذن عميقة ، والمحاولة غير
مجدية ومن الخير له ولها أن تحرب كل منهما طريقه ، ومن الخير
كذلك أن يتلقى الروح إن كان عشا أو متسرعا نسيجة عشه أو
تسرعه ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْحًا غَيْرَهُ ﴾
(سورة البقرة الآية ٢٣٠) . لا على طريمه «المحلل» الشائعة ،
والتي لا يعترف بها الإسلام ، ولا تقرها شريعته ولكن على أن
تتزوج زوجا حقيقا حديدا ، متويا غبه التأبد لا التوفيت فإذا
حدث لأمر ما أن طلقت من روحها الجديد أو مات عنها ، فلروحها

الأول أن يتزوجها من حديد وأن يستأمنها معار حلتها في الحياة

ولا يحور أن نسي في هذا أمجاد توصيات الإسلام في كل خطوة وفي كل مرحلة بحسن المعاملة وتوفية العقدة، بالسف للقلوب البائرة في فترة العدة، فقا يعود إليها ودها، وتحمر شعوبها، وتستأمن الحياة صافية من حديد ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْ أَجَلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهِنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ صِرَارًا لَتَعْتَدُوْا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ (سورة النقرة الآية ٢٣١) . . ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ نِسَاءً فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِمَا حَشَى مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴾ (١) فإذا بلغن أجلهن فأمسكنهن بمعروفٍ أو فارقوهن بمعروفٍ وأشهدوا ذوي عدلٍ منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ﴿ ٢ ﴾ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴿ (سورة الطلاق الآيتان ١-٣)

ثم لا يحور أن نسي كذلك أن للمرأة أن تشرط أن تكون العصمة بيدها، فكون لها من الحق ما تدر حل في هذا المحال عند الاقتضاء.

ذلك هو اصلاق في الإسلام . صمامة أمن لا تنطلق إلا حيث لا يكون مهر من اطلاقها، ومحاولة بعد محاولة في التوفي

والاستصلاح والمراعاة ، و فرصة بعد فرصة تكشف للروحين عن حقيقة مشاعرهما ، وعن أخطائهما في سلوك أو أخطائهما في التقدير ، أو أخطائهما في الشعور .

فقيم إذن تلحح حناجر عذبة جاهلة بنقد هذا النظام أو عسه أو تشويهه؟ يقولون : إنه نظام يدع المرأة دائماً مهددة بكلمة تخرج من شفهي رحل !

أهو كذلك في حقيقته الإسلامية؟ أم إنه صار كذلك بالصلات القلوب من عروة الإسلام ، وانفلات المجتمع من نظم الإسلام ، وانفلات الحكم من يد الإسلام؟

إن أغض الحلال إلى الله الطلاق وإنه لمكروه تبيحه الضرورة . فإذا فسدت قلوب ، وانحلت الأخلاق ، ورخصت الروابط ، وفشا الاستهتار ، فالمجتمع لهاسد هو المسؤول لا ذلك النظم البصير الحكيم . والعلاج لا يكون بتقييد المساح وتحريم الحلال ، ولكن يكون برد الحكم والتنظيم والتربية إلى الإسلام ، وعندئذ يصوع الإسلام لمجتمع كله وفق تعاليمه فتشريعات الإسلام مشروعة لمجتمع بحكمه الإسلام ، ولنظام يقوم على الإسلام ، ولصمير ربه الإسلام .

دعو الإسلام بحكم ، فيربي النمس ، ويرقط الصمائر ، ويضرب على أيدي العاشين والمستهترس ، ويحقق إرادة الإسلام كلها ومن بينها شرائع الإسلام

على أسى أفتصرص أن قد تم تقييد الطلاق ، في مجتمع

كمجتمعنا الزائع المريص فما الذي تبغيه المرأة بنفسها وبكرامتها؟ أفتريد أن يلمظها الرجل من قلبه فيمسكها القانون عليه؟! أفتريد أن يعيث بظلافها فلا تطلق، وتنفى على العث بها مقحمة في الدار؟ أي كرامة تدث التي يريدها للمرأة ساء فاعرت عاثت، أريد الله لهن الكرامة فأسينهن وانطلقن شاردات رخيصات؟^١

إن الرواح رابطة مقدسة، لا تقوم إلا على الرضا والقبول، ولا تستمر إلا بالرضا والقبول. ونظم الطلاق هو الكمل بقائها قائمة على أصولها الكريمة فإذا انفصمت عراها بعد هذا كله، فمعنى انفصامها أنها عبر صالحة للبقاء، وأنه خير للروح حين حيند وأكرم أن يركبها إلى حياه أخرى حديده ﴿وإيا يتفرقا يعني الله كلاً من سعته وكان الله واسعاً حكيماً﴾ (سورة النساء الآية ١٣٠).

تعدد الزوجات

ورحمة تعدد لروحان إليها هي الأخرى ضرورة تؤدي وظيفة صمام الأمن في محالها كضرورة اطلاق عند الاقتضاء. وهي في الإسلام وقاية اجتماعية بحثة، تنقي بها أخطاراً أكبر من مراح الأفراد، ومن رعيات لروحان والأرواح

ولقد كان موضع الحديث عن هذه الرحمة هو فصل الحديث عن «سلام المجتمع» لأنها الصق به، وأدخل فيه، ولكنها ليست عريضة عن فصل «سلام البيت» الذي بحر فيه، فالفرد والبيت

والمجتمع والإسبانية كلها مداخل متعاونة متساقطة، هي الواقع،
وفي نظر الإسلام للحياة.

إن ثثرة طويلة عريضة تتناثر حول حكاية تعدد الزوجات في
الإسلام، فهل هي حقيقة تلك الآفة الخطرة في حياة المجتمع؟ بل
هل يمكن أن تصبح آفة خطيرة في يوم من الأيام؟ وهل تحتاج إلى
تشريع ينافي أو يقيد تلك الرخصة التي جاء بها الإسلام؟

إني أنظر فأرى كل مشكلة اجتماعية قد تحتاج إلى تدخل من
التشريع بالتعديل أو التقييد، إلا مسألة تعدد الزوجات، فإنها تحل
بفسها بنفسها، ولا توجد إلا حيثما كان المجتمع في حاجة إليها،
وتسمح أوضاعه وضروراته بها.

بها مسألة تتحكم فيها الأرقام ولا تتحكم فيه الطريبات ولا
تشريعات، ولست أدري كيف جاز أن تنوكها لألسن، ولا كيف
أصسحت محالاً للأحد والرد والنفاس، إلا أن يكون لهدف
الكامن من وراء لوكها في الأفوه وفي الصحف وفي جهره
لتوجيه والإعلام الأخرى، هو غمزه، اندين في خست مقصود،
تريراً لإقصائه عن نظام الحياة وإلحلال نظم أخرى رديئة محله
طرق ملتوية لست لها حتى شعاعه أكثر المجد الذي أعلنه من
قل مصطفى كمال

بهي كل أمة رجالاً وساء ومنى توارى عدد الرجال الصالحين
للروح، لمستعدين له، لمقليل عليه، وعدد الساء الصاحات
للروح، لراعات فيه، فإنه يتعدر عملاً أن يحصل رجل واحد
على أكثر من امرأة واحدة لأن الأرقام ها هي التي تتحكم

إن معنى استطاعة رجل ما أن يحصل على امرأة أخرى . هو أن هناك امرأة رثة لا تجد رجلاً يقابلها ويستوى أن يكون هذا الرجل غير موجود حقيقة أو حكماً . أى أن يكون عدد النساء فى سن الزواج أكثر عددًا من عدد الرجال فى الأمة ، أو يكون أكثر من عدد الرجال الصالحين للزواج أو القادرين عليه من جميع الوجوه ، أو المراعين فيه على فرض استطاعتهم له .

فإذا لم يرد عدد النساء الصالحات للزواج حقيقة أو حكماً على عدد الرجال تعدد كما قلت أن يحد أكثر من روجة حتى لو أراد ، وحلت المسألة نفسها بنفسها عن طريق الأرقام !

وأما حين تحول تورن لأمة ، فيقل عدد الرجال الصالحين للزواج عن عدد النساء ، سواء كانت هذه الأمة من ناحية العدد كما يقع بعد الحروب و لأوشة التى يتعرض لها الرجل أكثر مما يتعرض النساء أو لأى سبب آخر ، أو كانت من ناحية عدم القدرة على الزواج لأسباب اقتصادية أو عائلية أو اجتماعية عامة . فهنا فقط يوجد مجال لأن يستطيع رجل تعدد زوجاته .

ولننظر إذن فى هذه الحالة ، وأقرب الأمثلة لها ألمانيا بعد الحرب العالمية الثانية حيث كانت هناك ثلاث فتيات فى سن الزواج مقابل كل شاب فى هذه السن (ما بين ٢٠ و ٤٥) . إنها حالة احتلال اجتماعى واضحة ، فكيف يوافقها المشرع الذى يعمل لحساب المجتمع ولحساب المرأة والرجل ولحساب النفس الإنسانية جمعاً ؟

إن هنالك حلاً من حلول ثلاثة

الحل الأول : أن يتزوج كل رجل امرأة، وتتمى اثنتان لا تعرفد
فى حياتهما رجلا، ولا بيتا، ولا طفلا، ولا أسرة .

الحل الثانى : أن يتزوج كل رجل امرأة فيعاشرها معاشرة
روحية، وأن يختلف إلى الآخرين لتعرفا فى حياتهما الرجل،
دون أن تعرفا، ليت أو، لطفل أو الأسرة . فإذا عرفتا لطفل تلبية
لتوارعهما الأثوية العميقة عرفناه عن طريق الحرمة، وعرفناه
متهمًا مشوهاً، ليس له والد معروف، وحملتا نفسيهما وحميت
الأطفال الأبرياء دلت العار وذلك الصباغ^١

الحل الثالث . أن يتزوج هذا الرجل أكثر من امرأة، فيرفعها إلى
شرف الروحية، وأمان اليب، وضمانة الأسره، وتأمين الطموية .
ويرفع ضميره عن لومة الحرمة، وقلق الإثم، وعداب الضمير
ويرفع المجتمع عن لومة الفوضى واحتلاط الأساب، وقذارة
الفحشاء . ويمح لأمة فرصة التعويض عن هذا الاحتلال بسبل
حديد يتم فيه التوازن بعد الحروب والأوبئة التى تنشئ هذا
الاختلال .

أى الحلول فى هذه الحالة أليق بالإنسانية، وأحق بالرجولة،
وأكرم للمرأة ذاتها وأنفع؟

إنه موقف لا احتيار فيه . فإما هدد وإما هدا وإما هذا، ولا
محار لعواطف الشعراء، أو رعسات لأفراد، أو اثرة الخوفا
إنها ضرورة اجتماعية وضرورة روحية وضرورة حيوية،
ومواجهتها سفى أن تكون فى الحدود العملية الواقعية، لا
بالخيالات والأحلام . ولقد بحث ألمانيا النصرية التى يحرم

ديها التعداد . بحثت عن الحل المناسب فلم تجد حيرة إلا ما
اختاره للإسلام ، وهي لا تدبّن بالإسلام وطالبت المرأة فيها تعدد
لزوجات ، ولم يحى هذا الطلب من الرجال .

لقد يقول قائل إن المرأة الآن قدرة على العمل ، فهي قادرة
على الحياة بلا رجال !

وأكذب الكذب على الطبيعة والمطرة والواقع أن يقال هذا
الكلام فحاجة امرأة إلى الرجل ، كحاجة الرجل إلى المرأة ،
بيست محصورة كلها في الطعام ، بل لست محصورة كلها في
مطالب الجسد وإن كانت هذه لا يعنى عنها المال ولا الطعام أو
الشراب إن هنالك حاجة نفسية عميقة هي كيان كل امرأة أن تجد
رجلاً إليها حاجتها ، إلى التكمل أعمق الحاجات وليس
شعور الرجل بعيداً عن هذا ، كذلك ، فهي العطرة التي قام على
أساسها نظم «ازوحيه» في الأحياء وفي الأشياء سواء مما يطل
حرفة العامل الاقتصادي الذي يعسر به بعض السطحين من
أصحاب المذاهب المادية شعور المرأة بحاجتها إلى الرجل ليعولها .
فالرجل لا تعوله المرأة ولكنه لا يحس فرحاً ولا شاطئاً ولا اعتزازاً
كما يحس وامرأة تعجب به ولا يحس أساً وطمأينة وسكينة
كما يحس مع شطر النفس الآخر إنها الإرادة العليا التي أودعت
نفس الجنسين هذه الحاجة لتبني مهتم الحياة ، ولتدفعهما إلى
التعمير والإشياء والسماء .

وإذن فما دامت في هذه الأرض ظروف يقل فيها التوازن بين
عدد الجنسيتين أو ينعدم ، فأكرم حل ، وأشرف علاج ، وأسلم

وقية، هي تلك الرحمة التي سهبت للإسلام، ووكّلتها إسي الأرقام، وتركها تحل نفسها بنفسها، لأنها لا توجد إلا وهات من صميم الواقع لعددي ما يدعوني وحووها، فردا لم يوجد دفع الأرقام، فلن يكون لها وجود ولو أرادها الإنسان!

وإني لأتقدم إلى الـثرائين عسا والـثرائيات، لدين بلعظون وهم لا يدركون البسيهيات. . أتقدم إليهم أسألهم. ترى هل حدث في يوم من الأيام أن شات مصر يا أراد الزواج، فلم يتمكن من العثور على فتاة سب أن هات رحلا خر طماعا أو شهوا أو مترقا، قد حصل على أكثر من زوجة، فحرم زميله من الحصول على زوجة، لأنه لا يوجد وفر في المنيات؟!

نعم! إسي أعرف حالات كانت البروة الطارئة، أو كان اشراء المباحي، أو كان الحيوان الشهوان مسألا سب سوه لأن يتطلع الرجل إلى عدد لزوجات. وللإسلام في هذه الحالة وجهة سكشف فيما بعد عنها. ولكي أسأل أو قد عصب ذلك لرجل امراه من بين يدي رجل، أم أنه وجد في المجتمع امرأة معطلة لا يقابلها رجل؟ إنه لو لم يجد هذه امرأة المتعطلة م استطاع أن يبي الحيوان الشهوان ولا البروة الطارئة، ولا حموة لثراء المباحي، عن طريق الزواج في هذا حدال؟

هنا يقال: إن العوامل الاقتصادية وغيرها من لعوامل لاجتماعية تؤثر في منح بعض الرجال قدرة فائقة على الحصول على أكثر من امرأة، وتحرم لآ حريم هذه الفرصة. فوجود ساء متعطلات ليس دليلا على نقص حقيقي في عدد الرجال، ولكن

على نقص في المقدرة الاقتصادية والاجتماعية لبعض الرحان

وهذا صحيح ولكن علاجه ينبغي أن يتجه إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي تشيء هذا الاختلال في جسم المجتمع لا إلى علاج عرضي يتقصد حق الروحاني ، لا يصل إلى ممكن الداء

ولو ترك الأمر للإسلام لما ترك هذا الاختلال الاجتماعي وهذا التخلخل الاقتصادي ، لأنه بطبيعته يحقق التساق والتوازن في المجتمع في كل اتجاه ، ويعطي الصمامات الكافية لجميع الشركاء ومن هذه الصمامات أن نشترط الروحانية ألا يصارها الروح بأخرى ، فيكون لها شرطها أو تطلب الطلاق

فالإسلام يعالج الأمر حملة ، فتعدل الخريجات نفسها ؛ ولا يعالج الموقف أحراراً وتمازق حلول صيغة الأفق لا تمتد إلى بعد من مواضع القدمين ، كما يريد الحهلون الشرثرون والجاهلات الثرائيات !

ولا يعمل الإسلام على أن هالك طائفة غير عادية في الرحان لا تكتفي بواحدة ، ولا أن تتطوع إلى أخرى وأخرى فإن لم تبسر لها هذه الأخرى في عالم الروحاني المنعش الشربف ، وحدتها في عالم الدعاية على نحو من الأنحاء وبذلك يتفرع المجتمع ، كما تنفرع الروحانية وينفرع البيت ، وتعمره الشكوك والاضطراب ، ويظهر من جوه الأمن والسلام

أفليس من باب الاحتيال الواقعي أن يمسح لمثل هذه الصنائع

المحاح في دائرة لرواح سظم الشريف، يدل أن ندعها تتلصص
وتتدسس، وتدسس نفسها وتدسس سواها، وتشيع الفاحشة بين
الناس. كما وقع في أوربا التي حرمت التعدد الشريف، لتواحه
التعدد المدنس في كل ركن وهي كل اتجاه؟

ولقد كان الإسلام حرباً بأن يهمل مثل هذه الرعبات، وأن
يتلقاها بالكبح والعقوبة حتى تقتصر على واحدة، أو تهلك إذا
هلكت إلا أن مثل هذه الرعبات تقبلها في واقع الحياة حالات
احتلال في التوارن بين عدد الرجال وعدد النساء والأمر في
النهاية متروك إلى الأرقام كما أسلفنا، وهي الحكم في الأمر، بلا
تحديد ولا تقييد!

وقد يقال من باب الحد لها وما دام الأمر كذلك فلم إذن
وضع الإسلام حداً أعلى لتعدد الروحات؟ ولم لم يترك ذلك
لطبيعة الحياة ولحكم الأرقام؟

وهو مجرد اعتراض جدلي، وإلا فتذكر أن هذه الرخصة
صروره في عتار لإسلام، ومواضع الضرورة مقصورة على
الحاجة. وأقصى الحاجة هو الأربع؛ لأن الاختلال لا يزيد عادة
على هذا الحد، بل قلما يبلغه ولأن التحديد يشعر بأن الطلاق
كان لضرورة ولم يكن هو القاعدة وقد جاءت الرخصة مع ذلك
مقيدة بشرط العدل الممكن ﴿فَإِنْ حَقَّتْهُمُ الْغَلَّةُ فَاعِدُوا فَوَاحِدَةً﴾
(سورة النساء الآية: ٣).

والعدل هو العدل في الإنفاق، والعدل في الرعاية،
والعدل في الكفة بكن حوسها مالية وحسدية ونفسية فأما

العاطمة القلبية الشخصية التي لا تؤثر في مطاها الحياة، فاعديل فيها ليس في يد الشر، وكل ما يطلب فيها ألا يظهر الميل، فتكون الأخرى كالمعلقة ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَسِّ فَتَدْرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ (سورة النساء الآية: ١٢٩).

والدير يطرون إلى الأمر من زاوية واحدة يحطئون. فقد تصدر الزوجة الأولى، ولكن هذه الزوجة لن تكون منصفة حتى تصع نفسها في موضع، الأخرى التي كنت معطلة أفلو كانت هي أما كانت قبل الرجل الذي يقدم إليها ليصمها إليه روجة شريفة كريمة، لا خلية مهمه مدسه؟ كذلك يحب أن يدحط ظروفها كثيرة أخرى ظروف الزوجة المريضة التي لا يريد رحلها طلاقها ولا تستقيم معها الحياة، والزوجة العقر العريضة على الرفق. . وهكذا وهكذا.

ولقد أراد الإسلام السلام بهذه الرحمة، وأراد تسويق الحياة لكل ظروفها وملاساتها، ووضع في حسابه أشواقها وصروراتها، وواردين لأصرار ولام، فاحتار أحفها وأكرمها، فأما المارعون والمارعات فميسوا في حساب الإسلام، أكثر جدية من ثروة المارغين والمارغات.

التكافل العائلي

ثم تتجاوز شخص الزوج وشخص الزوجة، لتحيد الإسلام

بمعنى تأمر الأسرة التي بصمها امت جميعاً، ويطم لعلاقات
بينها جميعاً، ويقرر التكامل بينها جميعاً وهي التكامل حقوق
وواجبات، ومرايا وتكاليف، تسهي كلها إلى ثقة متبادلة،
واطمئنان إلى الحياة والمستقبل، وشعور بالأمن فيها والقرار

إن عاطفة الأمومة وحدها تكفي في رعاية الويد. وإن عاطفة
الأبوة وحدها تكفي في انهوض له وللأم بالنفقة، ولكن الإسلام
يضيف إلى العاطفة العصرية الكيف الصريح شأنه في ذلك شأنه
في كل حواس الحياة إنه يث العبد ويستشير الواحد، ولكه
لا بدع لتكاليف عامصة مسهم، ولا يكف لمجرد الواحد
والعطفة وإنما يحددها بالنص ويؤيدها بالتشريع. وكذلك يفعل
في حق الطمولة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَةً بِمِلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ
وَبِأَيْكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾ (سورة الإسراء الآية ٣١).

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ
الرِّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ
نَفْسٌ إِلَّا وُسْعُهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ (سورة
البقرة الآية ٢٣٣)

فأما الواندان فبهم حقهما المقابل. وهي لإسلام كل حق بقوله
واحِب. يزيد عليه ما يوجب الأبوة والأمومة من احترام وطاعة
وأدب، ومن رفق في حالة كسرتهما وعطف. وإب الألفاظ التي
يعبر بها القرآن عن هذه المعاني تسيل اعطفاً ورقة وشفافية:
﴿وَقَصِي رَبُّكَ الْأَتَعِبُوا، إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَسْلِفُ عِنْدَكَ

الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً (٢٣) واخمس لهما جاح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴿ (سورة الإسراء: ٢٣ ، ٢٤) ولولادة بقدر ما نعت وبقدر ما عطفقت ﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهماً على ظهر وفصاله في عامين أن اشكرك لي وبوالدينك إلي المصير ﴿ (سورة لقمان الآية: ١٤) ولابد من لمة في الآتين إلى اقتران الإحسان للوالدين بعبادة الله في الأولى، وفتران لشكر للوالدين بالشكر لله في الثانية، ففي هذا الاقتران إحياء ظاهر المعنى لا يحفى .

ويسحب هذا التكافل بين أفراد الأسرة جميعاً يقوم بالتكليف أقرب عاصب، ثم من يليه، حتى يأتي دور ذوي الأرحام ويرث كذلك أقرب عاصب، فالذي يبي، على ذات النظام لكي يكون هناك نوع من التأمين الاجتماعي في داخل الأسرة. وذلك غير الصدمات الاجتماعية المفروضة على الجماعة وعلى الدولة، وسيأتي الحديث عنها في حيزه

هذا لتكافل العائلي الواسع لصديق - مصفاً إلى ما أسند من الطم الإسلامية لشؤون لبيب - دعائم للسلام والأمان في مثبة اسبت وشعار الإسلام في هذا هو ذلك الذي قدمه في أول الفصل : «المرد الذي لا يستمتع في بيته بالسلام. لن يعرف للسلام قيمة، ولن يتدوق له طعم، ولن يكون عامل سلام، وفي أعصابه معركة، وفي نفسه قلق، وفي دوحه اضطراب» .

سلام المجتمع

فى المجتمع تتشكك المصالح، وتراحم الدوافع ويكثر الشد والجذب، ويتكرر الأحذ والعطاء. وفى المجتمع يتبادل لأفراد، وتتعمل الجماعات، وتتفعل القوى، وتتافس المقدرات. وفى المجتمع يدمع الفرد، ويندمع البيت، وتدمع الأسرة، وبحف بها جميعاً ذلك السباح الصبحم ادى يشمل شاصها جميعاً، ويمثل اتجاهاتها جميعاً، ويؤثر فيها وتتأثر بها فى كل اتجاه.

وعندما يفرض بعض المذاهب الاحتماعة أن العلاقة بين الفرد والفرد هى أنداء علاقة الصراع والخصومة، وأن العلاقة بين الأفراد والسلطات هى أنداء علاقة انكس والإحار. يمرر الإسلام أن العلاقة بسهم جميعاً. فى المجتمع المسلم. هى علاقة الود والرحمة، وعلاقة التصامم والتعاون، وعلاقة الأمن والسلام ويقرر أن لقاعدة التى تقوم عليها حنائهم هى قاعدة الناسق بين الحقوق ولواحيات، ولتعدل بين المعام والمغرم، ولتوازن بين الجهد والحرء ويقرر أن العانة المقدره لهم جميعاً هى امتداد

الحياة، وإنما الحياة، وترقية الحياة، والتوجه بكل نشاط فيها وكل
نية وكل عمل إلى الله خالق الكون والحياة.

ومن ثم ينتهي كل نشاط فردي، وكل نشاط اجتماعي، كما
ينتهي كل تنظيم وكل إنتاج، إلى السلام الكلي، الذي يستقر بين
مختلف السوارع والاتجاهات، ومختلف القوى والصاقات،
ومختلف الأفراد والجماعات. لأن هالك أوفقاً أعلى من أفق
المصالح الوقتية التي تثير الشحناء، وتزجج العداوات

إن المذاهب العربية منطقية مع البيئة التي نشأت فيها. بيئة
اختصار العربية المادية، التي نهى من الحياة كل هدف أبعد من
هدف المصلحة المباشرة القريبة، وتنفى عن الإنسانية عنصر التطلع
إلى ما هو أبعد من الذات. فحين تحكم الحياة كلها هذه الفكرة
المادية لا يكون هالك محال لغير الصراع القاسي بين لطقات في
الاجتماع، ولا يكون هالك محال لغير قوانين العمل وظروف
الإساح، ومن ثم تصبح مسألة «صراع الطبقات» حقيقة مادية
واقعة لا فكاك منها، ولا أمل في احتوائها، ولا سبيل كذلك
لنحائها.

فأما حين يحكم الحياة منهج كمنهج الإسلامى، وحين يأخذ
نظام الإسلام الاجتماعى سبيله إلى التمهيد لعملى وحين
يصبح القاموس الإسلامى بامداداً كما أراد الله لا كما يفسره
المحرفون من رجال الدين عندئذ تصح «الخربة المادية» كما
تصح «حتمية صراع الطبقات» مسألة تحكمية لا تستند إلى واقع
ولا مطلق، لأنها تحكم على بيئة أخرى، ونظام آخر، حكماً

مستمداً من بيئة معينة تحكمها الأفكار المادية، وتنتهى منها فكرة لأهداف العليا للحياة .

إن الإسلام لا يقيم هذا الإسلام الشامل على حساب الفرد أو حساب الجماعة، ولا يقيمه على أساس من مصلحة طبقة ضد طبقة، أو سلطة ضد سلطة إنما يقيمه على حسابهم جميعاً. إنه يعطى كل محتهد حواءه، وكل محتاح حاجته، ويرسم لكل فرد ولكن جماعة ولكل سلطة حدودها لتحقيق العدالة المطبقة فى النهاية إن القانون الإسلامى الذى لم يضعه فرد، ولم تضعه طبقة، ولم تضعه سلطة . هو القانون المرأى من ميل فى صف فرد، ومن محابة طبقة على طبقه، ومن مراعاة سلطة . ومن ثم فهو لحاز دون طعيان طبقة على طبقة، وهو الوقاية من ذلك الصراع لى تحسه المذاهب المادية صرية لازب، لأنها رأته فى المجتمعات التى تدعى الإسلام . والإسلام منه براء - صرية لارب كذلك . وهى عرص موصعى لبيئة حصة، بيئة تعابر فى مفوماتها الأساسية مقومات الحياة فى الإسلام .

والآن فلننظر كيف يحقق الإسلام فكرته الكلية فى السلام الشامل القائم على العدل لك من فى محيط الحياه .

وجدان الحب والرحمة

يبدأ الإسلام بناء المجتمع فى ضمائر الأفراد ووجدانهم، فهناك فى أعماق الروح يغرس بذرة الحب، ويسم سممة

الرحمة الحب الإنساني الخاص، والرحمة الإنسانية المرأة إنه يرد الناس إلى ذكرى شأته الأولى من نفس وحناء، ويوظف في وحدانهم شعور السب والقربى، ويذكرهم أخوتهم في الله وفي المنشأ والمصير فإذا رقت جو نهم بهذه المشاعر اللطيفة كانوا إلى السماحة أقرب، وإلى السلام أدنى، وهات أسباب الخلاف والنزاع، وأمكن أن تفلح الطم و لقوا بين أسى يسنها لتحقيق هد لسلام، وكان ذلك الوجدان بمثابة الصمانة الوثيقة للشرائع والتنظيمات، وسارت عجلة الحياة في يسر ورفق وسماح ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رُؤُوسَهُمْ وَنَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (سورة النساء الآية ١٠).

وهكذا تتظم البشرية كلها في نسب واحد، وفي إله واحد، وتختفي المنازع والفوارق، لتبرز تلك الصلة الكبرى الوثيقة العميقة، التي تشمل الناس جميعاً على اختلاف المل والنحل، والأجناس والألوان واللغات والأقوام

أما المؤمنون فهم أقرب رحماً بعضهم إلى بعض بطبيعة الحال، يحكم أخوتهم في الله، والتضائهم في العقيدة التي يعدها لإسلام أوثق من روابط الدم، ووشائج النسب: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات الآية ١٠) أمثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه

عضو تداعى له سائر الحسد بالسهر والحمى»^(١) أولئك يهتف بهم رسول الله ﷺ . «لا تاعضرو ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً»^(٢) ويوطئ الإتيان فيهم بالحب حتى لا يفرق المرء بين نفسه وأخيه : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»^(٣) ويحرم عليهم الخصومة أكثر من ثلاث ليال يفتشون فيها عصمهم ثم يثوبون إلى المودة والقربى «لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا، وغيرهما الذي يبدأ بالسلام»^(٤).

وإبراهيم صواحب، والله يصف نفسه به مراراً وتكراراً : «ويعين بها على نسيه أن جعلها في قلبه فكان ليلاً عطوفاً» ﴿فسماء رحمة من الله لست لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانصدوا من حولك﴾ (سورة آل عمران الآية : ١٥٩) ويعين بها علي المسلمين أن يعث إليهم هذا الرسول الرحيم : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾ (سورة التوبة الآية : ١٢٨) . . . ويجعل القسوة أمرة الكفر والتكذيب بالدين : ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ (١) فذلك الذي يدعُ اليتيم^(٢) ولا يحصُ على طعام المسكين﴾ (سورة الماعون الآيات : ١-٣)

(١) رواء الشحان

(٢) متفق عليه

(٣) متفق عليه

(٤) أخرجه الستة إلا النسائي

والرحمة ليست مطلوبة بالمسلمين وحدهم ولكنها للأدمنين جميعاً: «ارحموا أهل الأرض يرحمكم من في السماء»^(١)

لا بل إن الإسلام ليحطو بوحدا الرحمة خطوته الكرى فيتجاوز بها عالم الإنسان كله إلى عالم الأحياء، فيشيع في القلب لشرى بشاشة ذلك الواحد ورقته وانعطافه تجاه كل ذى حياة يقول الرسول الكريم، «بسماء رجل يمشى بطريق شند عليه لعطش، فوجد شراً فترى فيها فشر، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ بى، فنزل لشرب فملاً حمه، ثم أمسكه بفيه، فسقى الكلب، فشكر الله له فغفر له» قالوا يا رسول الله: وذلك فى ابهائم أحرأ؟ قال: نعم فى كل ذات كدر طمة أحر»^(٢)

وهى عاية فى استعاشة وجدان لرحمة لا تلغها إلا العقيدة المؤمنة بالوشائج الكرى بين الأحياء جميعاً، ووحدة الخالق ووحدة الخلق فى هذا الوجود العريض. وهى العقيدة الجديرة بأن تعمّر نفس «الإنسان» أرقى هؤلاء الأحياء، وحليقة الله فى أرضه عليها جميعاً

الأدب النفسى والاجتماعى

ولكى يحقق الإسلام الحب والصفاء فى النفوس والقلوب،

(١) أبو داود والترمذى

(٢) أخرجه الشيخان

فإنه يأخذ المسلمين بأدب نصية وأدب اجتماعية تعين على هذه العناية. وتمنع أن تشور الأحقاد في النفوس، أو تعمر الأعصاب بالقلوب. وهو يستعين بهذه الآداب الرفيعة فلأن يستعين بالقانون والشريع، وإن كان يتحد من كليهما أداة، لأن السوك لمهدب والأدب الجميل والمعاملة العظيمة كلها تشيع في حو الحياة لاجتماعية رص وشفاشة وطمأينة قد تغنى عن التشريع والقانون.

إنه يكره التنفج على العباد والكبر والخلاء: ﴿وَلَا تُصَغِّرْ حَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (٨) وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصُصْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أُنْكَرَ الْأَصْرَاتِ لَصَوْتُ لُحْمِيرٍ ﴿ (سورة بقره الآية ١٨، ١٩). ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ بِنِ تَخْرُقُ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ لُجَالَ طُولًا﴾ (سورة الإسراء الآية ٣٧) إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاصَعُوا حَتَّى لَا يَبْعَى أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَهْجُرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ (١)

والإسلام يلحظ في هذا طوائع النفوس، فهي تكره المتكبرين، وتبغض المختلين، وتصيق بالمصححين المتساهين، وتحمل العيظ والحق ولتزم بهؤلاء الناس، ولو لم يقدموا لأحد مساءة شخصية، لأن محرد تظهرهم على هذا النحو شير في الآخرين كبرياءهم، ويحفرهم إلى الرد عليهم بكرههم والتزم بهم دون شعور

(١) مسلم وأبو داود

وإذا كان الإسلام يكره بكر واحيلاء الدين فلا يزال
 إسباً بداته بالأذى، فهو يحرم كل ما يمس كرامات الناس
 وأحسيهم ويلمرهم في مشعرهم أو قيمهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
 آمَنُوا لَا يَسْخَر قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن
 نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا
 بِالْأُلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُم
 الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا احْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الطَّنِ إِذَا بَعْضُ الطَّنِ
 إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلُ
 لَحْمَ أَحِيهِ مِمَّا فَكَرهُتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ بَرَّاءٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ (سورة
 الحجرات الآيتان: ١١، ١٢).

والإسلام يلحظ أدق مشاعر النفس، حتى ليسهى أن يتباحى
 اثنان في حصره ثالث لا يشترك في الحديث «إذا كان ثلاثة فلا
 يتباحى اثنان دور الثالث فإن ذلك يؤديه»^(١) وهو أدب نفسي
 عال لطيف

وفي هد سبيل كان الهى عن المر بالمعروف والصدقة، فالمر
 خلق حسيس في داته، مؤد بكرامه الآخرين كدس، ولهذا فهو
 بحق الصدقة ويذهب بالمعروف، ويحل النعمة والموحدة محل
 اشكر والاعتراف ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَن
 وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يَقُولُ مَالُهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

(١) رواه الثلاثة وأبو داود

فمِثْنُهُ كَمِثْلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿ (سورة لقمة الآية ٢٦٤).

ولا يقف الإسلام عند الحدود السلبيه في هذه الآداب، بل يدفع إلى الصورة الإيجابية منها لاستحاشة شعور الود وإحساس الألفة، فهو يدعو إلى إشاعه الكلمه الطيبه بين ساس: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (سورة الإسراء الآية: ٥٣). ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (سورة البقرة الآية ٨٣) ﴿ وَإِذَا حَيَّيْتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَرُدُّوهَا ﴾ (سورة النساء الآية ٨٦). وإلى إفشاء السلام في كل مكان ولكل إنسان، على معرفة أو على غير معرفة، تأليفاً للقلوب وإشاعة بسطمانينة. «يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير»^(١). ومثل رسول الله ﷺ. «أى الإسلام أفضل؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»^(٢) وإلى مقابلة السيئة بالحسنة: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ (سورة فصلت الآية ٣٤). ﴿ وَعَسَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (سورة الفرقان الآية ٦٣).

وهو يدعو إلى الصفح عن المساءة وضبط النفس عند الغضب، وجهادها لا لتضطعن وتحقد، ولكن لتعفو وتغفر، وبصرف

(٢) البخارى

(١) البخارى

ما بها من أعمال ويحل محلها البرء والسماح ﴿ ولئن صبر وعفر
 إن ذلك من عزم الأمور ﴾ (سورة الشورى الآية ٤٣) . . ﴿ وإن
 تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله عفورٌ رحيم ﴾ (سورة التعاين
 الآية ١٤) . ﴿ والكاظمين الغيظَ ولعافين عن الناس ﴾ (سورة آل
 عمران الآية ١٣٤) ﴿ وإذا ما عصبوا هم يغفرون ﴾ (سورة
 الشورى الآية : ٣٧)

وهو يدعو إلى السماحة في المعاملة بيعاً وشراءً واقتضاءً
 «رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى»^(١) وإلى
 الأمانة في التبادل ﴿ فإن أمت بغصكم بغصا فيؤذ الذي أؤتمن
 أمانته ﴾ (سورة البقرة الآية - ٢٨٣) وإلى الصبح في التجارة
 «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبيعا بورك لهما في بيعهما
 وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما»^(٢) .

وهو بنأى بالمسلمين عن مشيرات الأحقاد ومؤثرات الصغائس ،
 كمجالس الفمار حيث ترتفع درجة الأحقاد في الصوس وتهبط
 مبدعة للكسب احترام واحساسة الوبيئة ، وكمجالس الشراب حيث
 لا ضابط للبروات والهصوت من عقل أو إرادة . ﴿ إنما يريد
 الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الحمر ولئيسر
 ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم متتهون ﴾ (سورة
 المائدة الآية : ٩١)

(١) البخاري والترمذي

(٢) رواء الخمسة

وهكذا يقوم الأدب النفسى والاجتماعى بدوره فى تصفية جو الحياة، وإشاعة المودة والألفة فى النفوس، ويساعد فى بناء اسلام فى مجتمع فى عالم الواقع وعالم الشعور

شعور التعاون والتضامن

ثم يربط الإسلام الأفراد فى المجتمع بعد ذلك بربط المصلحة المشتركة، ويقوى فى نفوسهم شعور التعاون والتضامن، وشعور الواجب المفروض عندهم جميعاً، لصالحهم جميعاً، ويقيم حدود الحرية الفردية عند المصلحة المشتركة، ويشعر الجميع بأى هناك أهدافاً مشتركة لا يهض بها الفرد وحده، ولا بد من التعاون لبلوغها بين الجميع: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ الإمام راع ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيته، والخدم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته، والرجل راع فى مال أبيه ومسئول عن رعيته، وكلكم راع ومسئول عن رعيته»^(١). . . «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سمينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا مروا على من فوقهم، فقالوا لو أن خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم يؤذ من فوقنا! فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»^(٢).

(١) رواه الخمسة

(٢) البخارى والترمذى

و الجماعة مسئولة عن رعاية الصعاف فيها وكمالهم وحمالتهم
 هي أنفسهم وفي أموالهم ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ (٩) وَأَمَّا السَّائِلَ
 فَلَا تَنْهَرْ ﴿ (سورة الضحى الآيات ٩ ، ١٠) . ﴿ أَرَأَيْتَ لَدَيَّ
 يَكْذِبُ بِالذِّنِّ ﴿ فذلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿ وَلَا يَخْصِرُ عَلَى
 طَعَامِ الْمُسْكِينِ ﴾ (سورة الماعور آيات ١ - ٣) ﴿ وَابْتَلُوا
 الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ
 أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْسَرُوا وَمَنْ كَانَ عَسَى
 فَلْيُتَعَفَّفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (سورة النساء
 الآية : ٦)

وفي الحديث «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث .
 وإن أربع فخامس أو سادس» (١) «من كان معه فصلٌ طهر
 فليعده على من لا طهر له ؛ ومن كان له فصلٌ راد فليعده على
 من لا راد له» (٢) .

ولتحقيق مبدأ التعاون حرم الرب لما نشره من لأحقاد في
 الجماعة . فليس يحق للمسلم أكثر من أن يلجأ المحتاج إلى دى
 المال ، فينتهز الفرصة السانحة والضرورة الملحوظة ، ويفرض على
 أخيه صريفة حرماً ، وثمناً للمال يتفاداه ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا
 يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَحَبَّطُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ (سورة
 البقرة الآية - ٢٧٥) . ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَدَرُوا مَا بَقِيَ

(١) متفق عليه

(٢) مسلم وأبو داود

مِنَ الرَّبِّ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ ﴿ (سورة البقرة: ٢٧٨ ، ٢٧٩) .

إن المبادىء أن تعطى للمحتاجين قرصاً بلا فائدة، لنشع في
الجمعة روح المودة والرحمة، وروح التعاون والتضامن ﴿ وإن
كان ذو عُسرة فَنُظرة إلى ميسرة ﴾ (سورة البقرة الآية: ٢٨٠)
ولتكن السماحة طابع الاقتضاء بلا تعسير على المدين ولا إرهق
فذلك هو اللائق بجماعة الإنسان!

وبتحقيق ذلك المدد كذلك حرم الاحتكار ولعن المحكرين،
فهم بهارون والمرص، يستوفون أرباحهم المباحشة من دماء
المستهلكين فيثيرون حفيظتهم ويشيعون في الجماعة روح
التساعص، ويقتلون بذور التعاون لمن احتكر فهو
حاصي^(١) وحرم الغش وتطهير الكيل والميرن ﴿ ويل
للمطففين ﴾ الذين إذا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وإذا
كَالُوهُمْ أَوْ وَرَوْهُمْ يَخْسَرُونَ ﴿ (سورة المطففين الآيات: ١-٣) .
«من غشنا فليس منا»^(٢) . وحرم أن يحبس الناس أشياءهم
ويعطوا دون قيمتها التي تستحق، وعد ذلك فساداً في الأرض
﴿ وَلَا تَبْخَسُوا أَسْوَاسِئَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾
(سورة هود الآية: ٨٥)

ثم أمر المسلمين أن يعتصموا بحل الله جميعاً، ف يلتقوا عد

(١) مسلم وأبو داود والترمذي

(٢) مسلم وأبو داود والترمذي

ذلك المحور ، ويأخذوا تلك العروة ، فيشعرهم هذا بوحدهم في الله ، ويعاوبهم في سبيله ، وتجمعهم في طاعته ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَبَىٰ فِئْتَانٌ يَحْبِلَانِ وَأَصْلَحْنَا عَصَاهُمْ فِي أُولَٰئِكَ فَتَكُونُوا أَقْدَامًا وَمَ تَكُونُوا فِي شِقَاقٍ وَلَا تَقُولُوا عَلَىٰ الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (سورة المائدة الآية : ٢) .

وتلك عقدة العقد ، ورابطة الروابط التي ينتقى عليها الجميع ، فيحسّون بالوحدة التي تجمعهم ، ويلوّاحب الذي يدفعهم ومن شك أنها لسة في ساء السلام الاحتماعي ذات قيمة في لساء .

الأهداف العليا للحياة

بعد ذلك كله - أو قبل ذلك كله - يحقق لإسلام السلام في المجتمع الإسلامي نقلة يقلها للمرد ، وينقلها للجماعة ، من عالم الذات المحدود إلى افق أعلى من الذات وأفسح إلى الصراع كثيراً ما يشأ من الصاغة المكوّنة التي لا تجد لها متصرفاً ، ومن المحال الصيق الذي لا يسمح لهذه الطاقة بالنسامي ذلك حين تصيق افاق النفس ، وتصير أهداف الحياة ، ويصح اوراق المردى الصغير ، أو الواقع الطبقي لمحدود أو الواقع القومى المعلق هو مجال النشاط ، ومجال العمل ، ومجال الخيال

والإسلام يعطى إلى هـد كنه، فيحرح الفرد ويحرح الصقة
ويحرح القوم من ححر العياب الصغيرة انقربة، ليطلقها فى
مجار الأهدف لعبا للحية لطيقة يطلقها من مضيق العمر
الفردى لقصر إلى قضاء الحية العامة الكبيرة، ومن محال
الظرة الطفية أو لقومية الصقة إلى آوق الإنسانية لرعية
الشاملة .

عدئد يحس الفرد أنه لا يعيش لذاته، وإنما يعيش للإسايه
جميعاً وعدئد تحس الجماعة أنها لا تحيا لهذا الحبل، وإنما تحب
للشربة قساطة وعدئد يحس المسمون أنهم أوصياء فى
الأرض، حفاء لله، وأن ذواتهم ليست منكمهم، وجهودهم
ليست لهم، وحياتهم وسيلة لا غاية ولا وقت إدد ولا فسحة
للصراع الفردى أو الطففى أو القومى الصغير انصئيل الهريل،
نم العيات اعليا والأهداف لشاملة تنتظر الجميع .

إن الإسلام يقول للمسلمين ﴿ كُنتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (سورة آل
عمران الآية ١١٠) ويقول لهم ﴿ إِنْ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمْ لِحَّةٌ يُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِيُقَاتِلُوا
وَيُقَاتِلُوا وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾ (سورة التوبة
الآية ١١١) . ويقول لهم ﴿ وَلَكِنْ مَكِّمُ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ
وَبِأَمْرٍ مَعْرُوفٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

(سورة آل عمران الآية ١٠٤) فيرفع هممتهم وأصددهم إلى الإصلاح لكوني العام إلى تحرير لشريعة حميعها من العبودية سطواعيت . إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى تحميو الصلاح الإنساني الشامل . أما أنفسهم وأما أموالهم ، وأما مصالحهم القرينة حميعاً فقد باعوها بيع السماح ، بل باعوه بما هو خير وأبقى ، فقد اشتراها منهم الله

إنهم مكلفون أن يحاهدوا في الله تصحح كلمه الله هي العلي ، ولتصحح الأرض سلاماً لا فتنه فيها وليصحح الناس عبيداً لله وحده . وفي سبيل هذه الغاية العلي لا قيمة لدوات الأفراد ولا للمصالح والمطامع والشهوات ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكُون الدين كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ (سورة الأمل الآية ٣٩) «من حاهد لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(١) . «لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا صر بهم الله بالدل»^(٢) .

وهم مكلفون حماية الصعفاء ودفع الأذي عنهم ومصحهم الأمل ، ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرّجال والنساء والأولاد الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واحمل لنا من لدنك ولياً واحمل لنا من لدنك نصيراً﴾ (سورة النساء الآية ٧٥) .

وهم مكلفون أن يعبروا المنكر وقع من حاكم أو من رعية ، وقع

(١) رواه الخمسة

(٢) من كلام الحليمة الأولى أبي بكر

من فرد أو جماعة، فهم حد الله في الأرض، وبهم صلاحها، وعليهم تسعة إرثة الآثام منها «من رأى منكم منكراً فليغيره»^(١) وإلا حل بهم الدمار وحق عليهم العذاب. «إن ليس إذا رأوا الطالم فلم يأحدوا على يده أو شك أن يعمهم الله تعالى بعقابه»^(٢) «والله لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يدي الطالم، ولتأطرنه على الحق أطراً، ولتقصرنه على الحق قصراً، أو لنصرن الله نقود عصكم على بعض»^(٣).

والإسلام إذ يكلف المسلمين هذه التكاليف لعلها يرفع نفوسهم وأهد فهم، ويطلق طاقتهم الكامنة، في مجال الإسهابية لا في مجال لفردية. وما من شك في أن هذا الانطلاق يشعلهم عن العداوات الصغيرة في المجتمع، والشحناء التي تشرها المطامع والمطامح. وإيه ليسمع تلك الأهداف العلي في كفة، ويضع شهواتهم ومطامعهم في كفة أخرى، فيجبرهم بين الكفتين من أول الأمر ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَرْوَاحُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَحْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (سورة اتوبة الآية: ٢٤).

بها تكليف الوصاية على البشرية أنتى جعلها الله من نصيب

(١) لبحارى

(٢) أبو داود والترمذى

(٣) أبو داود والترمذى

هذه لأمة . ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا
 الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (سورة الحج
 الآية ٤١) . ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى
 النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (سورة البقرة الآية
 ١٤٣) وإيها واحب العبادة لله التى تجعل الحياة كلها مشدودة إلى
 أفق أعلى ﴿ وَمَا حَقَّتْ لَخَصِ وَالْإِنْسِ إِلَّا لِيَعْسُدُونَ ﴾ (٦٠) ما أريد
 منهم من رزقٍ وما أريدُ أن يُطْعَمُوا ﴾ (سورة الداريت لايشان .
 (٥٦، ٥٧) .

وفى حو كهذا الحو يستطيع المرد أن يحقق ذاته ، ويحقق رعة
 لاستعلاء فى نفسه ، دون أن يضطر فى ذلك للنزاع المردى
 واشحاء ، وإلى العراك الداخلى والعصاء فى المحال متسع
 للجميع ، وفى الأرض مندوحة عن صراع الديكة على فئات
 الحياة!

نظام الحكم

فيما تقدم كنا نتحدث عن الواجبات والمشاعر التى يقيم عليها
 الإسلام أسس السلام فى المجتمع ، وهى عوامل لا شئ فى
 قيمتها ، ولا مجال لكرانها ولكن الإسلام لا يعتمد عيبها
 وحدها ، ولا يدع لها تسطيم الحياة الاجتماعية فى عمومها فطرة
 الإسلام لكلية تجمع دائماً بين التكليف والتطوع ، وبس لتشرع
 والتوجيه ، وتأخذ المجتمع بالنظم والقوانين ، كما يأخذ به الترغيب

والتحصيل وفي مجال لسلام الاجتماعى، بأخذ لسلام بهذه
لسة كذلك، فيحكم من نظام الحكم، وصمات العدالة
لقصائيه، وضمانات لأمر والسلامة، كما يجعل من ضمانات
لمعاش والتوازن الاجتماعى العام، وسائل لإقرار السلام فى
المجتمع عن طريق التشريع و لتقوى والإلزام

ونظام الحكم فى الإسلام كميل بإقرار العلاقات بين الراعى
والرعية على أسس من لسلم والعدل والطمأنينة، ينهض عليها
بناء السلام الاجتماعى سليماً راسح الأركان

إن الراعى لا يصل إلى مكانه، لا عن طريق واحد، رعية الراعى
لمطقة واختيارها اآر. ولا يستقى بين اربعية مكانه ذاك إلا عن
طريق واحد: طاعة الله والعمل بشريعة الله.

وحكم يقوم على رص واختيار، وبعد مشوره من اساس
ويذن، ولا يحكم إلا بما أمر الله. حكم يشيع الثقة والطمأنينة
فى لهوس، وست الرضا والارتياح فى قلوب، فلا مجال
للرم به، و بصيق مه، والتمكير هى الخروح عليه، ما دام ينهض
بتبعائه بالطريقة التى رسمها الإسلام، وفى الحدود التى شرعها
الإسلام

فما الطريقة الإسلامية فى الحكم؟ إنها طريقة الشورى.

﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ (سورة الشورى الآية ٣٨)

﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ (سورة آل عمران الآية ١٥٩) . . وإذا
كانت الشريعة لم تحدد طريقة معينة للشورى، فذلك متروك

خاحات كل عصر و ضروراته وطريقه حياته ولكن المبدأ مقرر ،
والطريقة معسّه ، ومن شأنها إشراف المسلمين في تدبير أمورهم ،
فلا مجال إذن لأن يسحطروا وهم شركاء في التدبير .

وما الحدود الإسلامية للحكم ؟ إنها تنفيذ القانون الإسلامي ،
الذي شرعه الله لعباده جميعاً ، لم يراع فيه تفصيل فرد على فرد ،
ولا مصلحة طبقة دون طبقة ، ولا إشراف جماعة على جماعة ، ولا
تمييز حاكم على محكوم . كلهم عند الله ، والشرعية قانون لله ،
فكلهم أمامها سواء .

وطاعة الناس للحاكم مرهونة بإقامة هذه الشريعة و تنفيذ ذلك
القانون ، فإذا عسق عنه فقد سقطت طاعته . قال النبي ﷺ
«اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه
ريسة ، ما أقام فيكم كتاب الله تعالى»^(١) . فوقت الطاعة بإقامة
كتاب الله دون سواه . والقرآن صريح في الحكم بانكسر على من لا
يحكمون بما أنزل الله . ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْكَافِرُونَ﴾ (سورة المائدة الآية ٤٤) صريح في الحكم بعدم إيمان
من يريدون أو يصلون التحاكم إلى غير شريعة الله . ﴿لَمْ يَرْ إِلَى
الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ أَمْوَا مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَدْ يَرْعَمُونَ
أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ
أَنْ يُضِلَّهُمْ صَالَا لَا يَعِيدَا﴾ (سورة النساء الآية ٦٠) . ﴿فَلَا
وَرَبَّكَ لَا يَزْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمُوا فِيمَا شَحَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي

(١) صحيح البخاري

أَنْفُسِهِمْ حَرْجًا مِمَّا قَصِيتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ (سورة النساء
 الآية - ٦٥) والإسلام صريح كذلك في وحب مجاهدة من لا
 يحكم بما أمر الله ، وتحريم طاعة المسلم له على الإطلاق

وتنفيذ هذا القانون لإلهي الذي لا يحابي أحداً ، ولا يجعل
 لفرد ولا لطقة امتيازاً حصاً ، حكماً كان هذا الفرد أو محكوماً ،
 وعنية كانت هذه الطقة أم فقيرة . كميل بأن يحقق السلام في
 المجتمع ، لأنه يسوس الجميع بمصلحة الجميع

بن محمداً رسول الله وحكم المسلمين الأكر كن يقيد من نفسه
 كم روى عمر بن الخطاب ، وكان يقول لأهل بيته :
 « يا معشر قريش شتروا أنفسكم لا أعني عنكم من الله شيئاً ، يا بني
 عبد مناف لا أعني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبد المطلب لا
 أعني عنك من الله شيئاً ، ويا صفية عمة رسول الله لا أعني عنك
 من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا
 أغني عنك من الله شيئاً » (١) .

وأبو بكر ، الخليفة الأول وصاحب رسول الله ﷺ ، يقف
 عقب انتهاء لبيعة له فيقول : « أما بعد - أيها الناس - فإني قد وليت
 عليكم ولست بحيركم ، فإن أحسست فأعينوني ، وإن أسأت
 فقوموني » ، إني أن يقول رضى الله عنه : « أطيعوني ما أطعت الله
 ورسوله ، فإن عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم » . فنقرر
 لقاعدة لإسلامية الكرى في الحكم وحدوده

(١) متفق عليه

هذا النظام الإسلامى كميل باستقامة الرعاية ورصا الرعية،
وبإقرار اسلام يسهما وبرطيدہ لا بالعسف والخور، ولا بالكبت
والإحسار، ولا بالقسوة والجسوت، ولا بالخوف والذل، ولكن
بالرصد والقبول والطاعة المنعثة من أعماق لصمير، لا رياء ولا
نفاقاً ولا تظاهراً كذاباً

إبه وسيلة من وسائل الاستقرار، لا تفضلها وسيلة ولا
تعديلها وهو حقيقة من حقيقت السلام الشامل، غير مفصلة من
السلسلة الخماسية، في فكرة الإسلام الكرى عن الحياة

ضمانات العدالة القانونية

يستمد الحكم الإسلامى عدالته أول ما يستمد من عدالة القانور
داته . فهو كما أسلفنا ليس من صنع فرد، ولا من صنع طائفة،
حتى تظن به الطور، ويحشى أن يميل مع الهوى، أو أن يتلسر
بالخطأ، فيفوته تحقيق العدالة المطلقة

وأما عند التمييز فقد ناط الإسلام ذلك بوصوح القانور،
وبصمير القاصى ورقابة الجماعة وكل فرد فى الجماعة
الإسلامية موط به هذه الرقابة، موط به أن يدفع الظلم حين
يفع، وأن يسه الحاكم حين يطغى، والقاصى حين يحطى، وإبه
ليوء بالإثم حين يكتم الشهادة. أو حين يقر الخطأ، ولا يسه إليه
إد يراه .

واعدل الذي سطبه لإسلام هو العدل المطلق الذي لا يتأثر
 بمحبه والشان، ولا بدل واحاء وحكم ويات لعدل هي
 القرآن صدمه حارمة حاسمة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
 بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ
 عِياً أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدُلُوا وَإِن تَلَوُّوا
 أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (سورة النساء الآية ١٣٥)
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا
 يَحْرَمَكُم شَأْنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا
 اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (سورة المائدة الآية ٨) ﴿وَلَا
 تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بَاتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ
 وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلَفُ بَعْضًا لَّا وَسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ
 كَانَ دَا قُرْبَىٰ وَوَعْدَ اللَّهِ وَفُوا بِذِكْرِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
 (سورة الانعام الآية ١٥٢) ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم
 بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (سورة المائدة الآية ٤٢).
 ﴿فَبِذَلِكَ فَادَّعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنَّا بِمَا
 أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ كِتَابِ رَبِّنَا وَأَعَدَلْ بَيْنَكُمْ﴾ (سورة الشورى الآية ١٥)
 ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ
 لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة
 الآية: ١٨٨).

وفي الحديث «أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه

مجلساً امام عادى ، وأعص الناس لى الله يوم اقيمة وأعدهم مه
مجلساً امام جائراً (١) .

وإن تاريخ الإسلام ليحفظ بأمانة وعادح لا تحصى على العدى
المطلق الذى حققه الحكم الإسلامى حتى فى الأيام التى انحرف
فيها «الخلقاء» عن تعاليم الإسلام ، فقد بقيت ضمائر القضاة
ويقظة الجماعة حراساً على العدالة ، تستمد سلطاتها من حشية الله
والخوف من يقمه ، إذا بهاوت ، أو عشت ، أو سكبت على لمعى
والجور .

وليس المحال هنا مسح الحديث عن العدالة فى الإسلام ،
مكتفى بنموذجين اثنين من اسماح الكثيره التى وعاد التاريخ :

وحد عى درعه عدر رجل نصرانى ، فحاء به إلى شريح
القاصى ، وقال : إنها درعى ، ولم أبع ، ولم أهب . فسأل شريح
ذلك النصرانى : ما تقول فيما تقول أمير المؤمنين ؟ قال النصرانى
ما المدرع إلا درعى ، وما أمير المؤمنين عدى بكاد . فالتفت
شريح إلى عى يسأله . يا أمير المؤمنين ! هل من بية ؟ فضحك
على وقال : أصاب شريح مالى بية !

وكذلك نصى القاصى للنصرانى بالدرع فأحدها ومشى إلا
أن الرجل لم يحط حصوات حتى عاد يقول : أما أنا فشهد أن هذه
أحكام أسياء . أمير المؤمنين يدينى إلى فصيه فيقضى عليه ! أشهد
أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، المدرع درعك يا

(١) أخرجه الترمذى

أمراء مؤمنين، تبعت الجيش وأنت مطلق من صهيون وحررت من
بعيرك الأورق. فقال عبي: أما إني أسلمت فهي لك.

وحلّس أبو يوسف للقضاء واختصم إليه رجل مع الهادي الملك
لعيسى في ستان. فرأى أبو يوسف أن الحق مع الرجل، وأن
للسلطان مع ذلك شهوده. فقال: إن الخصم يظن أن يحلف
الهادي على أن شهوده صادقون، وهذا كل الهادي عن اليمين. لا
يعتقد فيها من مهانة. فرد أبو يوسف الستة على صاحبه.

وحين يطمش الأمراء في المجتمع إلى أن القانون الذي
يحاكمون به هو من صنع إلههم العادل وأن حاكم الذي يدير
أمرهم ليست له حقوق زائدة عن حقوقهم وأنه مدين بهد
أقانون دينوتهم وأن القضي الذي يولي لقضاء لا يستمد
حكمه من الهوى، ولكن من قانون الله والخوف من الله. عندئذ
تطمش نفوسهم وتستقر ويقوم السلام الاجتماعي على أحد
أركانه السليم: ركن الصمات العادلة في الحكم والنصاء.

ضمانات الأمن والسلامة

لا يمكن إقرار السلام في جماعة لا يتوفر فيها الأمر العام، ولا
السلامة لجميع الأفراد. ولقد سبق في الحديث عن «سلام
صميم» أن لا سلام يوفر للفرد ضمانات أمه وسلامته في حياته
اجتماعية، لنصل من هذا إلى بث السلام في صميمه وتفكيره.

هذا الأمر وهذه السلامة هم ضمانات المجتمع أيضاً. فاعرّد

و جماعة في الإسلام ليساعدوين وليسائدين إلى هم خيبة واحدة في صورتين . الفرد فرداً والفرد مشتركاً في جماعة . وقد شأت هذه الصورة من طيعة الإسلام واستمداد شريعته من الله لا من إنسان فالفرد لا يشرع للجماعة في الإسلام والجماعة لا تشرع للفرد إنما يحصع الفرد وتحصع الجماعة لذلك القنون الإلهي الذي يرعاهم جميعاً

و حين تنقرر هذه الحقيقة يصبح أمن الفرد الشخصي هو أمن الجماعة الكبي ، وأمن الجماعة العام هو أمن الفرد الخاص . فلا تعارض بينهما ولا انقسام

إن كل فرد سوى ذو مصلحة مباشرة في توفير الأمن العام للجماعة . فهذا الأمن لا يكتفه ، ولا يقوم على حسانه ، ولا يحاربه في هدف صالح ، ولا في غاية مشروعة وإن الجماعة لتؤدي دورها كاملاً حين تضم حوائجها على أفراد كل منهم أمن سالم عام ، فلا مصلحة لها في كسهم أو ظلمهم أو غلبهم عن النشاط

وأما الشواد منحرفو المطرة ، فهم لا يوصفون هذا الوصف لأنهم أخلوا بقانون وضعه فرد لمصلحته ، أو وضعته طقة نمائتها كما هو الحال في القناون الأرضي . إنما هم حارحون على الله وأوامره الموصوعة لأصحاب الفطره السليمة ، مناسمه معهم ، محقة لمصلحتهم بوصفهم أفراداً وبوصفهم أعضاء في جماعة . فإذا عوقبوا فهم لا يعاقبون باسم فرد ولا باسم جماعة إلى يعاقبون بقانون الله وباسم الله . فليس عقابهم بتقماً منهم على يد الجماعة لأنهم خرجوا على مصالح الجماعة التي قرررتها لمسه ، بل تحقيقاً

لكلمة الله ، وللصلاح العام اندي يريده الله . ومهما قست هذه عقوبة فإن المعنى الانقياسي لا طلبة فيها . فانه تعالى لا يحرص على مصلحة له خاصة وهو يسن الشريعة إنما يريد الصلاح العام للعبد، ويريد إزالة أسباب الفساد التي تعوق هذا الصلاح العام بلا رعاية لمصلحة خاصة أو هوى دفين!

وفي ظل هذه الفكرة كانت لصمات التي فرضها الله للناس جميعاً، وكانت لعصوبات التي تحل على المفسدين في الأرض منهم كما فسقوا عن أمر الله المؤدى إلى الخير العام.

وأولى هذه الصمات صمات الحياة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (سورة الأنعام الآية ١٥١). وكل نفس ككل نفس لها هذا الحق المطلق - إلا بالحق. وقبل نفس واحدة بعدل قتل الناس جميعاً، لأنه اعتد، على حق الحياة في ذاته، بعصر النظر عن من يحمل هذا الحق ويمثله . وشرعية الله الدائمة تتصمم هذا المدأ في كل زمان ﴿مَنْ أَحْلَ دَلِكْ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (سورة المائدة الآية ٣٢). ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعْنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (سورة النساء الآية: ٩٣)

والإسلام لا يدع ضمانه مثل هذا الحق الأساسي للصميم وحده، وللتحديد من عقاب لأخرة فهو قد وضع له الصمات

لقابوية صناً ونصصياً، فقرر القصاص في حدة العمد، والدية
والمدية في حالات احطاً، وحسن انقصص معادلاً لما وقع على
حياه من اعتداء فإن وصل الاعتداء إلى القتل كان الحرج النفس،
وإذا وقف عند الحرج كان القصاص مثله ونحوه ﴿يَأْتِيهَا لَدِينِ
أَمْوَ كُنْتُ عَلَيْكُمْ أَنْقِصَاصُ هِيَ الْقَتْلَى﴾ (سورة بقره الآية
١٧٨) ﴿وَلَكُمْ فِي أَنْقِصَاصِ حَيَاةٍ يَا أُولِي الْأَنْبَابِ لَعَلَّكُمْ
تَتَّقُونَ﴾ (سورة اسقرة الآية ١٧٩) ﴿وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ
النَّفْسِ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنُ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفُ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنُ بِالْأُذُنِ وَالسَّ
بِالسَّ وَتُحْرُوحُ قِصَاصٌ﴾ (سورة المائدة الآية ٤٥) ﴿مَنْ قَتَلَ
عَبْدَهُ قَتْلًا مَوْسِيًا وَمَنْ حَدَّ عِنْدَهُ حُدُودَهُ﴾^(١) ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ
حَقَّ لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنْ كَانَ مَبْصُورًا﴾ (سورة
إسراء الآية ٣٣) ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً
وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ
يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ
وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَّةٌ مُسْلِمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ
رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنْ اللَّهِ وَكَانَ
لِلَّهِ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (سورة النساء الآية ٩٢)

ويلى صمانية لحياه صماته العرص والذل «كل المسلم على
المسلم حرام دمه وعرضه وماله»^(٢).

(١) رواه الخمسة

(٢) رواه الستة إلا لسانى

فأما ضمانة الدم فهيما سق ، وأما ضمانة العرص فقد تضمنتها عقوبات الرب وعقوبات القذف ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (سورة النور الآية : ٢).

﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (سورة النور الآية : ٤).

وأما ضمانه المال - يدل الحلال المكسوب بالطرق التي يقرها الإسلام لا بالغش و لربا والاحتكار و لسرقة والنهب والسلب وما إليها - فقد تضمنها عقوبة السارق في غير اضطرار ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا حِرَاءَ بَمَا كَسَبَا كَلًّا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (سورة المائدة الآية : ٣٨).

وتلى ضمانات النفس والعرض والمال - حرمة المسكن ، فلا تفتح على أحد داره بغير إذنه ، ولا يتسور عليه أحد بعدة ولا حائطا : ﴿ يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٢٧) فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا هو أركن لكم والله بما تعملون عليم ﴾ (سورة النور الآيتان : ٢٧ ، ٢٨)

ثم صممة الحرية الشخصية فلا تفرص عليها رقاه
الجناسوسية :

﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ (سورة الحجرات الآية ١٢) وصممة الأمر
في العينة : ﴿وَلَا يَحْتَبِغْ بَعْضُكُم مِّبْعَضًا﴾ (سورة الحجرات
الآية ١٢) والكرامة في الحصور : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْجُرْ
قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا حَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا سَاءَ مَن يَسَاءُ عَسَىٰ أَن
يَكُن حَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾ (سورة
الحجرات الآية : ١١) . . ولم يذكر الفراء عقوبات معينة على
هذه الاعتداءات ، ولكن الشريعة الإسلامية تقرر التعزير
والتعزير عقوبات دون الحدود متروكة للتشريعات الجزئية ،
وبنقاصي بحسب الظروف

فأم العصابات التي تعيث في الأرض فساداً بالحملة ، وترتك
الجرائم محتممة ، فقد صمم الإسلام لجماعة مسلمة أن يأمر
مها بتفريق عقوبات فاسده عليها ، قد لا يستحقها الفرد على جريمة
فردية ، ولكن خطر الاجتماع على الفساد خاص يتطلب عمومة
خاصة . ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ الَّذِينَ يَحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي
الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا وَتَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّن
خِلَافٍ أَوْ يُعْوَىٰ مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ حَرْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ
عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة المائدة الآية ٣٣)

وبعد فهذه صمات لاتهم . وفي أهمية عظمى في هذا
الاجل . فيجب أن يأمن الناس لاتهم بالبطل ، أو الأحد

بالشبهات ، أو عتشاف الأدلة دون يقين ، وفي هذا الصدد يصح
لإسلام قوعد محكمة ما أيسر ما يقوم على أساسها تحقيق
الحرائم ، مع أعلى حد من صيانة صحة الإحراءات

والمبدأ الأساسي ألا يؤحد أحد بالطقة ، وأنه لابد من عدالة
الشاهد ، ووصوح الدليل ، وأن الشبهة تدرأ الحد . وذلك لقوله
تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظُّلِّ إِنَّ بَعْضَ الظُّلِّ إِثْمٌ
وَلَا تَجْسُسُوا ﴾ (سورة الاحراءات الآية ١٢) . ولقوله . ﴿ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنِسَاءٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِبُهَالَةٍ
فَتُصْحَبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ (سورة الاحراءات الآية ٦) . ولقوله
عليه السلام : « ادفعوا الحدود بالشبهات »^(١) .

وقد رأيت أن الحد في الزن يستوجب شهادة أربعة عدول ، وأن
لدى يقذف محصنة ولا يأتي بأربعة شهود يحدد ثمانين جلدة

أما الاعتراف فيعذه الإسلام حجة ما لم يقم عليه شبهة ،
فيرجع إلى المبدأ السابق . وقد جاء ما عر بن مالك إلى النبي ﷺ
بطلب الحد على نفسه معترفاً بحريمة الرماء ، فلم يقل السي اعترافه
حتى استوثق منه . فقد رده ثلاث مرات وهو يعود فبعترب ، وفي
الرابعة سأل الرسول . أنه حيون ؟ فأحمر أنه ليس بـحيون ، فقل
شرباً خمرأ ؟ فقام رجل فستكهه فلم يجد فيه ريح خمر . فسأله
النبي بصاً : أريت ؟ قال نعم^(٢) . وهذا فقط أقام عليه الحد ،

(١) في مسند أبي حيفة للحارثي

(٢) عن بريدة وقال صاحب مصابح اللة أنه من الصحاح

بعد أن لم تنقُ شهة في صحة عترائه ولا يقل اعتراف بمن وقع
عليه إبداء، فإنه حينئذ لا يكون أمياً على نفسه^(١)

والأصطرار شهة تمنع إقامة الحدود، اتساع لقوله تعالى:
﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (سورة النقرة الآية
١٧٣) ولم يطق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حد السرقة في
عام الرمارة بصمة عمه، ولم يصفه كذلك في حادثة فردية في
سرفه علما لاس حاص من أي ملتعه نافه، عذمت تير أن
سيدهم لا يعطيهم كفايتهم من الطعام، وعزم السيد ضعف ثم
الباقه وأطلق العلم السارقين استأذ إلى أن لأصطرار عذر
وإلى إنه شهة تدراً الحد

وهكذا تتوافر الضمانات للفرد والجماعة في انفس ولعرض
والمال و حقوق جميعاً بما في ذلك ضمان سلامه لإجراءات
وصحة الأدلة عند الاتهام^(٢) فتكون هذه الضمانات لبنات في
بنة السلام الاجتماعي في محيط الجماعة في حل ذلك القانون
مشروع للجميع، لمصلحة الجميع، دون ما عرص ولا هوى
ولا محاباة

ضمانات الحياة المعيشية

يقدر الإسلام قيمة الحب المعيشي بقنصادياته و ضروراته في

(١) ولقد سبق أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لم يقع عقوبه على الرجل و ذراه
الذين صلع عليهم ومعهما ريق حمير - بعد ما نسور عبيهما لحدس - بعدم صحة
الإجراءات ص ٥١

حياة الفرد وحياة الجماعة، ولا يفرض تقديره له عن أشد المذاهب
لمادية اهتماماً به، ولكنه فقط لا يحسن الإنسان عليه، ولا يعمل
حواسه الأخرى، وأشواقه العليا، وهذا هو مفرق الصريق بين تلك
المذاهب وبين الإسلام

إن الإسلام يعرف الإنسان إنساناً، ويعرف لضروراته عمقها في
كيانه وأصالتها في طبيعته، ويعرف بجانبها لأشواقه عمقها في
كيانه وأصالتها في طبيعته، ومن ثم يحرص على مراعاة أشواقه
وضرورته كل منها في مكانه، وكل منها بعنفه وأصلته، وكذلك
تحية تقديرته للإنسانية أسلم، وتفسيرته للحياة أصدق،
واحتياطه لها أوفى، وتلبيته لها أكمل

ولا يغفل الإسلام عن أد القويين كلها، والصمات جميعها
يمكن أن تذهب صياعاً؛ إذ فقد لمرء كفايته الضرورية للمعاش،
وأن أشواق روحه قد بطمس، وإشراق دمه قد يحو إذا هو فقد
تلك الكفاية ومن هنا يصع الصمات بجانب التوجيهات لتوفير
هذه الكفاية المعيشية أولاً ثم لتحقيق التوازن الاجتماعي المطلق
أخيراً.

ونحن الآن نصد تلك الصمات المعيشية، فسنظر كيف
يوفرها الإسلام ويكفلها

إن وسيلة الحياة الأولى في الإسلام هي العمل. والإسلام يمح
العمل قداسة ترفعه وترفع العمال: «إن الله يحب العبد المؤمن
المحترف» (١)

(١) من حديث ذكره القرطبي في التفسير

«ما أكل أحدكم طعاماً قط خيراً من عمل يده»^(١)

والرسول يدعو إلى ترقية العامل أحره قبل أن يحف عرقه،
وتوفيته له كاملاً . وبعض فقهاء المذهب المالكي يرى أن يكون أحر
العامل نصف ربح العمل . وقد عمل لى أهل حصر على أساس
نصف الغلة

وعلى أى حال فالإسلام يعد العمل هو وسيلة التملك،
ووسيلة ضمان الحياة المعيشية . فإذا عجز الفرد عن العمل لسبب
من الأسباب، فعلى بيت المال - أى على الدولة - أن تعوله .

وقد عرض عمر للمولود مائة درهم، فإذا ترعرع بلغ به مائتين،
فإذا بلغ راده، وكان يحرص للفظ مائة ويوليه كل شهر رزق يعيه
عليه ويحمل رصاعه ومفقه من بيت المال، فإذا كبر سواه بغيره من
الأطفال وكذلك قرر لعجرة اليهود والنصارى فريضة من بيت
مال المسلمين بوصفهم أعضاء فى المجتمع عاجزين عن الكسب
بسبب الشيخوخة أو العاهة

فإذا كان العمل لا يسد الحاجة فيبت المال هو الكفيل، كما فى
حالة الفقير، وهو الذى يملك أقل من نصاب الزكاة، والمساكين
الذى لا يملك شيئاً، وإن السبل المنقطع عن ماله، والمدين الذى
ذهب الدين بماله ما لم يكن قد أمقه فى معصية فقد شملتهم
مصارف الزكاة التى يحياها الدولة من المالكين، ونصرفها معرفتها
على المحتاجين .

(١) البخارى

ولقد أباح الإسلام للمرد أن يقاتل ويقتل من في يده طعمه أو شرابه إدامعه وهو في حاجة ماسة إليه ، لأنه كحق الدفاع عن الحياه وذهب للإمام بن حزم في هذا إلى تقدير أن أهل المحلة التي يموت فيها فرد من الخوع قتلة له تؤخذ سهم دية ، بوصفهم مد ، لأن الجماعة ملزمة بكفائه كل فرد فيها ، وتوفير الكفاية معيشية له عن طريق الإلزام لا عن طريق الإحسان .

وهب التكافل العائلي الذي يحرص للعاجر والمحتاج في كل أسرة بمقعة معروضة بحكم لماون على أقرب أوليائه إليه . فتصبح أثره العامة للأسرة كتمه بكفية كل فرد فيها تكليفاً وانراماً لا صدقة وإحساناً

ودلت كله غير حق الدوة المسببة في أن تفرص من بصرائب ما تشاء ، وتأخذ من أموال الأغنياء ما تشاء . دون إحلال بقاعده الملكية الفردية التي تقوم عليها انظام الاجتماعي في الإسلام . لسد حاجات الأفراد ، أو لتقيم المشاب والمراق التي توفر لهم الرزق إلى غير ذلك من الإحراء التي ستحدث عنها بالتفصيل في موضعها عند الكلام على "التوارث الاجتماعي"

والذي يعيب هو كمال النظم الإسلامية لكفية المعيشية لكل فرد في الأمة قادراً على العمل أو عاجراً عنه ، عاجراً كلياً ودائماً أم حزيناً وموقوفاً ، وما في هذه الكفانة من فرار للإسلام في إخماده ، وحسم للاضطرابات التي نشئها الجماعة

فما الاضطرابات التي يشئها عدم التوارث في توزيع الثروة

العامّة، وفي توزيع المعنم والمعارم، وفي توزيع الخفوق والواحات في محيط الجماعة بشكل عام، فميم يلي عنها بيان.

التوازن الاجتماعي

إن كماله الردق لكل فرد، وصمان الكفانة المعشنة للجمع، لا تعدو في النظام لإسلامي أن تكون خطوة و حدة بدائية في طريقه إلى تحقيق عدالة اجتماعية شاملة وهي خطوة تقوم على مبدأ إسلامي أساسي "الرحل وبلاؤه والرحل وحاحته"^(١) هذا مبدأ أدى ورع عمر بن الخطاب انتهى على أساسه في أيام الإسلام الأولى، والذي ما ترال الشريعة تحاوله حتى اليوم، فتحقق لأبي لا تأخذ شقه، إنما يأخذ مذهب من مذهبها شق، ويأخذ مذهب آخر الشق الآخر، فلا يجتمع لأيهما ما جمعه لإسلام بطريقته الكلية الشاملة في علاج الحياة

على أي فهي خطوة واحدة. كما قلت. من خطوات الإسلام في طريقه إلى تحقيق عدالة اجتماعية شاملة. تحقق سلاماً اجتماعياً شاملاً

إن التوازن الاجتماعي هو القاعدة الكبرى التي يقسم عليها لإسلام بناء العدالة الاجتماعية، التي يهصر على أساسها السلام الاجتماعي وكل ما مضى في هذا المنص من صماتات، تأمنات لم يكن إلا مقدمات وأساساً لتحقيق ذلك التوازن بصنة شاملة

(١) من كلام عمر بن الخطاب

هذا لسوازن ملحوظ في نظام الحكم وطريقته، وفي طبيعة التشريع وطرق التقاضي، وفي كفاءة الأمن وكفاءة الرق، ولكنه سلع درونه في الجانب الاقتصادي العام، جانب توزيع الثروة لعامة وصوبطه وقيوده في محيط الجماعة. وهو يبلغ إلى هذه الذروة بوسائل شتى ستعرض منها في احتصار أهمها وأبرزها، إذ كان هذا الكتاب خاصاً بالسلام العالمي والإسلام، لا بالعدالة لاجتماعية في الإسلام^(١)

يقسم الإسلام هذا التوازن على عدة مبادئ أساسية عامة، يفررها بوصفها أصولاً لنظريته في المال:

المبدأ الأول: مداً ألا يكون المال متداولاً في أيدي الأعياء دون الفقراء، ويقرره نص صريح: ﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مَكُم﴾ (سورة احشر الآية ٧) تعديلاً لتصرف واقعي من تصرفات الرسول، فيأخذ حكم المداً العام ذلك حسماً أعطى فيء بني النضير كله لئلا يحرين الفقراء دون الأنصار الأعياء. فيما عدا رحلين فقيرين منهم لاشتراكهم في لوصف مع المهاجرين. كي بعيد التوازن الاقتصادي بين فريقين مسلمين في ذلك لأوان. مع أن هؤلاء الأنصار كانوا مداً أووا المهاجرين وشاركوهم أموالهم ودورهم ومتاعهم، وأحوهم إخاء كاملاً يقوم مقام الإخاء في الأساب، بحيث لم يكن هناك ما يعرضه عليهم الإسلام غير ما صنعوا منتظون من مقاسمه لأحوالهم الفقراء فيما وهبهم الله من كل شيء

(١) يراجع توسع في هذا الموضوع كتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام

كذلك بقدر هذا المبدأ عزيمة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو - وإن لم تمهه الطعنة العادرة ليعلمها - قد صرح بها ، فلم ينكر عليه أحد من المسلمين ، وبذلك تأخذ صفة المبدأ للإسلامى العام : «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لأحدث من لأعياء وصول أموالهم فرددتها على الفقراء» . وقد اعتزم أن يستدرك هذا الذى فاتته فى لعام القابل ، مع التسوية المطلقة فى عطاء المسلمين من المىء

ويهد المبدأ توصع القاعدة الأساسية لتوزيع الثروة فى لأمة الإسلامية . ولا يهم أن يكون هذا المبدأ قد عطل فى بعض الفترات ، وفى يد الدولة المسلمة - التى تحكم بشريعة الله - أن تفقد بطريقه التى تتطلبها الأوضاع لاقصدية فى كل زمان ، والتى يتصلها السلام الاجتماعى فى كل مكان .

وهذا المبدأ محض مبدأ حق الملكية الفردية وبقيده ، ويجعله دائماً حاصلاً لسلطة الدولة المسلمة فى إعادة توزيع ثروة العامة حسب المقتضيات والأحوال . وإن كان لا يهدر الملكية الفردية ، ولا يعدل عنها إلى قاعدة أخرى . وقاعدة الملكية الفردية - كما قلنا - هى قاعدة النظام الاجتماعى فى الإسلام

والمبدأ الثانى مبدأ «المصالح المرسنة» أى المصالح العامة التى لم يرد فيها نص خاص ، واتى بحول الإسلام للدولة المسلمة ، بل يوجب عليها أن ترعاها بحسب المقتضيات والظروف . وقد شرحنها فى كتاب «العدالة الاجتماعية» بتوسع ، فأكتفى هنا بنص على أن للدولة المسلمة التى تحكم

شريعة لله نطقاً بهذا المبدأ، أن توظف في أموال الأغنياء. كما يقول الإمام مالك أى أن تأخذ من أصلها لا من الربح ولا في صورة صرية. ما تقصيه حاجة الحراة بعمدة للإنفاق على مصالح المسلمين العامة، وما تنظفه وعيية المجتمع ووفائه دار الإسلام من بمقت تعحر عنها الموارد العادة للدولة، ثم لا ترد ما أخذته من رءوس الأموال^(١)

وفي هذا المبدأ تقييد كذلك لحق الملكية الفردية وتحديد، يجعله دائماً حصصاً لحاجات الجماعة المسلمة. وفي صلة ملك الدولة تحقيق التوازن الاقتصادي، لا عن طريق الضريبة فحسب بل بانتراع أفضة من الملكية الفردية. بقدر الضرورة وبحسبها بدون إهدار للقاعدة الأساسية في النظام الإسلامى. لتتفق في المصالح العامة للجماعة.

ابداً الثالث مبدأ سد الدرائع - و«الدريعة معناها الوسيلة ومعنى سد الدرائع رفعها، ومؤدى الكلام أن وسيلة المحرم، محرمة» ووسيلة الواجب واجبة، فافحشة حرام، ولفظة إلى عورة الأحيية حرام لأنها تؤدي إلى الفاحشة والجمعة فرص، فالسعى لها فرص، ورك السع لأحل السعى لها فرص أيضاً والحج إلى البيت احرام فرص وسائر مناسك الحج فرص لأحله والأصل في تقدير سد درائع هو النظر في مآلات الأفعال، وما تنتهى في حملتها إليه فإن كانت تنحى نحو المصالح

(١) يرجع كتاب «مالك» للأسد محمد أبو هريرة ندد الشريعة بكتبه الحقوق جامعة القاهرة - فصل المصالح المرسلة

التي هي المقاصد والغايات من معاملات بني الإنسان بعضهم مع بعض كانت مطلوبة بمقدار يناسب صلب هذه المقاصد، وإن كانت لا تساويها في الطلب وإن كانت مآلات تتجه نحو المقاسد، فإنها تكون محرمة بما يتناسب مع تحريم هذه المقاسد»^(١)

والذي يهمهم هو في محال لتوازن الاحتماعى هو أن عدم لتوازن في توزيع الثروة لعامة من شأنه أن يؤدي إلى مفسد اجتماعية شتى، ليس أقلها تأريث لصغائس والإحسان للأفراد والجماعات، وقعود الهمم عن الدفاع عند الخطر، إذ لا يجد المحرومون مصلحة لهم في دفاع عن وطن يظلمهم ويحرمهم إلح

فمن واجب الدولة المسهمة التي تحكم شريعة الله إدراك أن تمنع هذه الوسيلة المؤدية حتماً إلى غايات وبيلة

وهنا كذلك نجد نفس القيود على حق الملكية الفردية، ويحد في يد الدولة المسلمة مبدأ التدخل - في حدود النظم لإسلامى العام - على النحو الذى يمنع إصرار ويحقق المصلحة، وإلا كانت أئمة مقصرة في اتخاذ الحيطة.

والمبدأ الرابع مبدأ تحريم الربا فالإسلام يقر «الربح» ويكره «الفائدة» ذلك أن الربح قابض لسقمص والريادة وفق الحسد لشري أما الفائدة فهي ثبته حتى ولو لم تأت الجهد الشرى شىء من الثمرة فإذا شاء صاحب المال أن يربح، فإما أن يشتعل

(١) كتاب مالك للأستاذ محمد أبو دهره

فيه نفسه فيربح أو يخسر . وما أن يشارك بحاله صاحب الجهد ثم يتقاسمان الربح والخسارة . وهذا هو العدل المطلق

هذا المبدأ الأساسي في الإسلام يحول دون تضاعف المال بداته ، كما يقع الآن في النظام الرأسمالي ، ويضع قيداً صخماً في طريق تضخم اشروات عبي حساب حاجة الأفراد أو الشركات للمال ، واضطرهم لاستدائته بالربا ، كما يمنع سبباً رئيسياً من أسباب الاستعمار والحروب الدولية ، ويعطي العمل قيمته في مجال الإنتاج ، ويحقق العدالة بين الجهد الحقيقي والخزاء ، ويمنع أن يبال القاعدون الكسالى خزاء لا يستحقونه ، وهم ينالونه في العالم الخاهي بمجرد توظيف أموالهم في البنوك وغير البنوك فيضمنون الفائدة الحرام وهم فاعدون ، وتتضاعف ثرواتهم وتتضخم ، وتحل بالتوازن الاقتصادي والاحتياج على نحو ما هو مشاهد في ذلك العالم المتعفن

وبدأ الخامس . مبدأ تحريم الاحتكار ويشمل الاحتكار جميع عقود الامتياز . والاحتكار يخلق قوة طاعية في يد المحتكر ، لا يستمدّها من الخوذة والاتقان ، وحسن الخدمة وكفايتها ، إنما يستمدّها من حرد عقد الامتياز في يده ، أو من احتكاره للسعة في السوق . هذه لقوة الطاعية تستخدم دائماً السوق تستخدم دائماً ضد مصاح المستهلكين أي ضد مصلحة الجماعة . لأنها تتخذ من حاجة الناس إلى السلع وإلى المرفق سلاحاً لا يملكون له مقابلاً ، وهي تملك أن ترشوا القسامين بالحكم والمراقبين على أعمالها ، وتسترد قسمة هذه ارشام مصاعمة من الجماهير المغلوبة

على أمرها، أو تحصى السلعة المحتكرة في أشد أوقات الحاجة إليها وبذلك كنه يحتل التوازن في المجتمع، لأن طريقاً قليلاً منه يملك قوة لا مقابل لها في أيدي الآخرين، ويحتل التوازن لافئصادي لأن الاحتكر وسيله لتصحيح الثروات بأيسر جهد، وعن طريق حرم، ربوسائن مربية، وبإفساد الدم والصمائر والأخلاق.

ولمبدأ السادس . مبدأ شيوع الموارد العامة وهو ما يسمى في زماننا هذا ' «تأميم الموارد العامة» فياساً على شيوع الماء والكلا والنار التي نص عليها الحديث بوصفها موارد عامة لا يحور تحديدھا ملكية خاصة، وبوصفها ضروريات للحياة يحب أن تطل مشعة. وقد رتب الملكية على هذا شيوع لركار فلا يؤول إلى ملكية خاصة، ويرى المالكية في أشهر أقوالهم أن ليس شيء من الأنواع الثلاثة . المعادن والفدرات والسوئل في محلها (مباحمها) من الأموال المباحة حتى يتملكها من وحدھا واستولى عليها وإنما هي ملك للمسلمين استولوا عليها دستيلائهم على أرضها لأنها منها، وثمره من ثمراتها، ولكها مع ذلك لا تعد تعة بها، فلا تملك بامتلاكها إذ ليس مثلها تملك الأرض وتصب عادة، فنقتب للمسلمين»^(١).

وما من شك في أن رد الملكية العامة في هذه المرافق للجماعة، فيه قصء على سبب مهم من أسباب فقدان التوازن الاقتصادي في

(١) كتاب «أحكام المعاملات» للأستاذ على الخفيف الأردنيكية الحقوق جامعة القاهرة

المجتمع، لأن هذه الموارد العامة تمثل القسم الأكبر - أو قسمًا
صغيرًا - من الثروة العامة، تملكه في الأنظمة العربية شركات أو
أفراد ونشأ من هذه الملكية أثر سيئة في دحل الجماعة، كما أنها
تصبح سببًا من أسباب الرackets الدولية، وألعب الاستعمار.

وهذا لابد من إيضاح فإن الملكية العامة للموارد العامة الشيعة
الماء والكلا والنذر والمأحم والستروا ليس معها تحويل كل
الملكيات إلى ملكية عامة، وتخطيط قاعدة الملكية الفردية التي هي
قاعدة النظام الاجتماعي في الإسلام. فالإسلام يراعى توفير
الصمابات لكل فرد أن يكون مالكًا للموارد رزق خاص، يحرره من
العبودية للدولة أو للمجتمع إذ به يقيمه حرسًا على شريعة الله
يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وهو لا يملك حرته إذ كان ررقه
في يد الدولة أو في يد المجتمع

و لإسلام بأحد فصول أموال الأعياء فيرده على المقراء
ليمدكو ملكية فردية تضمن لهم تلك الحرية ويحعل الناس
شركاء في الموارد العامة، مالكين لها جميعاً، دون أن يجردهم هذا
من الملكات الخاصة، اضرورية لقيام نظام الاحتماعى
الإسلامى

والمبدأ السابع مبدأ تحريم لسرف والترف والإسلام لا يحب
لناس الشظف والخرمى، بل يدعوهم إلى الاستمتاع بالطيبات،
ويستكر تحريمها والصدعها، ويسكر السرف والترف، لأنهما
ليسا من تلك الطيبات المصولة الحلال. ﴿ يا بني آدم خذوا زينكم

عند كلِّ مُسْحَدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ
 ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ رِبَاً اللَّهُ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَاطِّبَاتٍ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ
 هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْصِلُ
 الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿سورة الأعراف الآية ٣١ ، ٣٢﴾

والترف مكر في الإسلام لما يحلّقه من انهيار وترهل في نية
 امرد وهي نية الأمة ، ولما يشه من فساد وتعص في كيان المرء وفي
 كيان الجماعة . فالترفون كانوا على مدار التاريخ هم أسباب انهيار
 المجتمعات والشعوب ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا
 فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ (سورة الإسراء
 الآية : ١٦)

والذي يهمنا أن سرره هاهو أن الترف في أمة لا يقوم إلا على
 حساب الشطط في فريق كبير من أسائها ، فمن دمء الحمهير
 وجهودها ومن ضرورياتها وحاجتها يستمد هذا المر الترف لذاته
 وكماليته ، مما يثير أحقاد المومس وحرارات الصدور ، ومما يفقد
 الجماعة روح السلام والإحاء ، ويقيم بعضها حرناً على بعض ،
 لتناقض المصالح ، واحتلاف المطامح ذلك كله فضلاً عن
 القذارة التي يحلّفها المترفون في المجتمع ، والفصلات الآسنة
 المتخمة عن إشباع شهواتهم المريضة .

ولما كان وجود دل في أيدي هؤلاء المترفين هو الذي يهيئ لهم
 هذه اللذذ الدنسة ، وتلك الشهوات القذرة ، وفي الوقت ذاته
 يؤجج العداوات والحرارات ، ويحلحل بناء المجتمع ويهره من

أساسه ، فإن «مبدأ سد الذرائع» يتدخل هنا ، ويصرص على الدولة المسلمة أن تنزع الوسيلة الخطرة من أيدي العاشق النار . فمبدأ سد الذرائع هو مبدأ الوقاية من الاحتمالات المستترة . وهو الذي يحرم الوسيلة ، إذا كانت تؤدي إلى عاية محرمة ، ولو كانت هذه الوسيلة بداتها غير محرمة . ووجود المال الفاضل في أيدي هؤلاء هو الوسيلة التي يجب منعها اتقاء للعاقبة ، كما هو مبين في هذا المحال .

والمبدأ الثامن : مبدأ تحريم الكز ﴿والذين يَكْنُزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٣٤) يوم يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَخُفَاهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ﴾ (سورة التوبة ، الآيتان : ٣٤ ، ٣٥) .

ذلك أن حبس المال عن التداول ، والكف عن الإنفاق في سبيل الله ، أي في تلبية الحاجات والمصالح التي تتم بها كمة الله ، من شأنه أن يفسد التوازن المالى والتجارى والاقتصادى عامة ، ويفسد معه التوازن الاجتماعى ، ويؤدي بذلك لفساد إلى محظورات ومحرمات يجب . تعالماً الذرائع - منعها من الوقوع ، ومنع أسبابها التي تؤدي إليها . وحسب هذا التحريم لا تصبح مسألة كنز مسألة شخصية أو فردية ، ولا حريم ذاتية يترك حسابها إلى الله في الآخرة يوم تكوى الجسام والخبوب والظهور . بما تصبح مسألة تشريعية ، تطالب الدولة المسلمة بمنعها عن طريق لتشريع وعن طريق التنفيذ تحقيقاً لمبدأ الذى أسلمنا

وشرائع الإسلام وعظمه وحدة متكاملة متناسقة، وكل مبدأ من مبادئه يعصى إلى الآخر، حيث تلغى كلها عند القاعدة الكلية للإسلام، فلا يجوز عند الشريعة أحد المسائل فرادى معثرة، بل يسعى الرجوع دائماً إلى القاعدة الكلية لشاملة

وما من شك في أن حسن المال عن الإنفاق ذو صرر واضح بارر واقع. فإن كان هذا الحسن عن رجل ويمتير فهو داخل في نص الهى في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عَقِّكَ﴾ (سورة الإسراء الآية ٢٩) وإن كان عن كراهية للإنفاق في سبل الله فهو داخل في نص الهى في قوله: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (سورة البقرة الآية ١٩٥). باعتبار الكف عن الإنفاق في سبل الله «تهلكه» للمرد وللجماعة ومن هنا يدخل مبدأ سد اندراع من أوسع الأبواب

وقد احتج بعض الملحتر من رجال الدين ذات يوم بالقول بأن ما أدبت ركته ليس كنز، للتدليل على أن حق المال هو الركة وحدها؛ وأن لا حرج في الكنز بعد ذلك ولكن هناك حديث صريحاً يبين حدود الكنز. وبين فيما يحتفظ بالساقى بعد الركة حتى لا يكون كنزاً. ذلك قوله ﷺ «من جمع ديناراً أو درهماً أو تراً أو قصفاً ولا يعده بغيره، ولا ينفعه في سبل الله، فهو كنز يكوى به يوم القيامة»^(١).

وقد أنان هذا الحديث ما يحوز الاحتفاظ به، والأعراض التي

(١) ذكره القرطبي في التفسير

يبحر الاحتياط به من أحله ، ومن عد هـ فهو كثر يطبق عليه
نص التحريم . وهكذا فيهم الإسلام على صوء مبادئه الكلية
العامـة فى هذا المجال .

والمبدأ التاسع : مبدأ من أين لك هذا . فـ حق الملكية الفردية
مع أصالته فى النظم الإسلامى ، ليس مطلقاً من كل قيد كما
يتصور بعض الجهات بالدين وبعض المحترفين . إن الملكية الفردية
لا تقوم إلا على أسباب صحيحة مشروعة لا تخالف عن مدى
الإسلام العامة فى المال ، ولا عن مبادئه العامة فى الأخلاق
كسبئك . هـى لا يمكن أن تقوم على النهب والسلب والعصب
والسرقة والرشوة ولعش أو الربا والاحتكار . وما إليها ومن
ثم فمن حق الدولة المسئمة التى تطبق شريعة الله دائمة أن تبحث
عن أسباب التملك ، وترى إن كانت مشروعة أو غير مشروعة
فإن كانت مشروعة فالملكية مضمونة لصاحبها مقياة بالقبرود التى
اسلمها ، وإذ لم تكن صحيحة ولا مشروعة فالإسلام لا يعرف
بوجوده من الأساس ، ولا يرتب لها حقوق الصيانة و مناعه التى
يرتبها للملكية القائمة على أصل صحيح

وهذا هو الإسلام . نقرر حق الملكية الفردية ، لئلى فى النفس
البشرية ميلها الفطرى العميق إلى التملك والاستحواد ، كى تذل
أقصى نشاطها ، وتتح أكبر نجاحها ، وتعطى لحدة كل ما أودع الله
فها من لطافة ، فتسمو الحياة ما قدر لها الله السماء . وقرره كذلك
ليضمن لكل فرد مورد رزق مستثنى فيحرره من العبودية للدولة أو
للمجتمع ، ويمككه من أن يقوم حارساً على شريعة الله بأمر

بالمعروف ويهيى عن المكر ، ولا يحشى بعد ذلك مساساً بررقه من سلطة من لسلطات ثم بعد ذلك يصع الحدود والقيود لهذا الحق ، فلا يؤدى أحد فى خلق ولا فى معاش ثم يجعل الجماعة فى النهاية حقها فى هذه الملكية الفردية تحقيقاً للمصالح العامة للجماعة وهذا يحقق كل مزايى الملكية الفردية التى تحتج بها المذهب الفردية ، ويمى عنها كل عيوبها التى تحتج به المذهب الجماعة ، ويقوم وسطاً بين طرفى العدو ، متساوفاً مع الفطرة السوية التى لا عوج فيها ولا شذوذ كما يقوم حارساً للفرد أن يفقد كسوته وشخصيته وكرامته وحرية ، حارساً للجماعة أن يفقد مصالحها وبأسفها وعدالة التوزيع فيها .

والمبدأ العاشر مبدأ الزكاة : ذلك المبدأ الذى تحاول أجهزة الرأسمالية اطاعية أن تتره وحده بوصفه أقصى ما فرض الإسلام فى المال من مبادئ ، كى نعطي على الناس وتحذرهم ! والذى تحاول أجهزة الشيوعية حيناً والصلبية حيناً أن تتره بهذا الوصف ، لتتوّن من شأن الصمانات الاقتصادية والاجتماعية فى الإسلام !

ولقد تعمدت أن أتأخر به إلى موضعه هنا ، فى نهاية المبادئ الإسلامية الأساسية ، ليعرف الناس كيف تدلس عليهم أجهزة الرأسمالية مستخدمين المحترفين من رجال الدين ؛ وكيف تدلس عليهم الشيوعية والصلبية . أحياناً أيضاً ، ببعض من يتسولون إلى الدين !

وما كان ذلك تهويًا من شأن هذا اسد الحبل ، ولكن بناءً
للمحق المؤيد بالدليل

إن الزكاة عريضة تأخذ بنظام ثابت ما يعادل ٥ , ٢ / من أصل
الثروة كل عام .

وهنا كلمة يجب أن يقال عن هذه العريضة التي يشوهها
المعاصرون والمتحايلون ، فيصورونها بصورة الإحسان المدل لكرامة
الإنسان !

إن الدولة المسلمة هي التي تجمع هذه العريضة ، وإن الدولة
مسلمة هي التي تتولى إنفاقها بنظام معين . فإين هي أدلة في نظام
كهد النظام ؟ إن المعرصين والمتحايدين يحولون دائماً أن يرسموا
صورة واحدة موروثة لعملية الزكاة . عني يتسرع ويصدق وفقير
يأخذ ويشكر ! ويد عليها معطية تحتها يد سقى احاة . وجهه
لوجه ، مباشرة بين فرد وفرد !

من أين جاء بهذه الصورة الشائنة الموروثة ؟ لست أدري !

أثذا فرصت الدولة اليوم صريبه للتعليم ، جعلت حصيلتها
خاصة بالأعراض التعليمية البحتة ، من بناء للدور أو أداء
للأحور ، وبنفاق على أدوات الطلاب وكتبهم وعدائهم كذلك
قبل . إن هذا نظام لتسول والشجدة ، بهين كرامة المعلمين
والطلاب ، لأن هذه الأموال مأخوذة من أموال الأثرياء مضمرة في
شئون العقراء ؟ !

أثذا سبب الدولة قانوناً بحسب ٥ , ٢ / من كل ثروة ، كثرت أم

قلت، لتكوين الجيش وتسليحه، وجعلت هذه الصرية وقفاً على هذا الباب من أبواب النفقات العامة . قيل : إن الجيش يتسول، وإن كرامته تستذل، لأن الدولة أخذت نفقته من أموال الأثرياء . والثرى والفقير في أدائها سواء؟!

إن الركاة فوق أهلها عبادة من العبادات هي في جاسها لمالي صرية كفية الصرائب، بحبيها للدولة، ثم تنفقها في وحوه معينة . تحبسها كلاً ثم تنفقها أجراء ؛ ولست بحسناً فرداً بخرج بعينه من يد ليعطى بعينه إلى يد . وإذا كان بعض الناس ليوم يحر حور ركاة أموالهم، فيور عوبها بأيدهم فذلك ليس المطام الذي فرصه الإسلام ؛ إنما يصنع هذا البعض ذلك، ويسلك هذا الطريق المباشر، لأن الدولة لا تقيم أركان الإسلام . ومن ثم فهي لا تحبى هذه الضرية بيدها، لتنفقها في إصلاح حار المجتمع كما قرر الإسلام .

ولكن الغملة ولا استغمال يبلغون أن يتحدث بعض الناس عن الركاة على أهلها إحسان فردى بدل القوس ويعودها الأسعداء!

والحرأة على الحقائق السافرة الأولية إلى درحة التبجح، لا تنشأ إلا من غفلة المستمعين أو القراء إلى حد السلاهة . وكلاهما يتوافر في البيئة الحاهلية البعيدة عن دين الله . وهو يتوافر أكثر في بيئة من يسمو بهم «الثقفيين»^١ الذين يستمعون لكل طاعن في نظم الإسلام بترحب وشاشة، لكي شتوا أنهم مثقفون حقاً! أليس في عصر الأقرام وجيل الأقرام؟!

الاطمئنان إلى القانون

. والآن ستهدى إلى الوسيلة الأخيرة التي يسلكها الإسلام لتحقيق السلام في المجتمع تلك هي طبيعة الشريعة الإسلامية وعلاقة النفس البشرية بها، واستجاباتها لها وهي ذات أثر حاسم في إقرار السلام الاجتماعي في الامة، وتحقيق تلك الصمامات والتأمينات التي سبق الحديث عنها جميعاً.

إنه لابد للجماعة البشرية من قانون ينظم علاقتها، وبصرف أحوالها، ويحييها كتلة متصامة ذات كيان، لا أفراداً متثرة بغير نظام.

والقانون لا يؤدي دوره هذا نجاح ما لم يكن مطاعاً نافذاً ولن يكون نافذاً ولا مطاعاً إلا أن تطمئن إليه النفوس، وتحسن بينها وبينه بالتجاوب والتعاطف، وتلمس فيه تحقيق مصالحها القريبة وأهدافها البعيدة.

والخروج على القانون ينشأ في الغالب من عوامل ثلاثة تتجمع إليها العوامل الفرعية كافة:

الأول. هو الشعور بأنه غير عادل، لأنه يحقق مصلحة فرد أو أفراد أو طبقة على حساب الآخرين الذين يحسون في هذه الحالة أن القانون وسيلة من وسائل تسخيرهم لسواهم، دون فائدة تكافئ جهودهم، وأن عليهم الغرم ولغيرهم العسم، عن طريق هذا القانون.

الثاني هو الإحساس بالعربة بين روح القانون وروح الجماعة

التي تحكم به لأنه لا يلى حاجاتها الشعورية، ومصالحها المادية؛ ولا يمشى أوصاءها، ومتقتصات حياتها، بسبب غربته عن روحها وطروفها وتاريخها.

الثالث هو محاولة الفرد تحقيق شخصيته بالخروج على القانون الذى وضعه له سواء، سواء كان لدى وضع القانون فرداً أو هيئة أو طبقة، لأن القانون على أى حال يتضمن قيوداً، والاسعلاء على هذه القيود فى حالة لقانون ادى يصعه الإنسان للإنسان. يحقق الشخصية الذاتية فى شعور الفرد حين يحرج عليه سراً أو جهراً.

وما من قانون من القوانين الوضعية يمكن أن يبرأ من عيب أو أكثر من هذه العيوب، وبخاصة العيب الأول والثالث، فهم مجتمعان غالباً فى كل قانون أرصى عرفته البشرية لا تترأ منها تلك القوانين التى شرعها البرلمانات المنتخبة، ولا القوانين التى نسها طبقة لعمال الحاكمة فى الدول الشيوعية.

وأما فى حالة البرلمانات المنتخبة، فى الدول الرأسمالية، فحكاية الاحتار الحر من الشعب خرافة. والخماهير تحس فى أعماقها بضخامة هذه الخرافة لأن لناخب يدرك أنه غير حر فى إبداء إرادته الحقيقية، وعيشه ولثمه الحر التى تحفظ حياته فى يد صاحب رأس المال الذى يتتبعه! وعلى فرض المستحيل فى استمتاع الناحب بحريته المطلقة وهو يختار الرجل للبرلمان. فهذا البرلمان يحكم تكوسه من طبقة معينة تفل فيه العناصر التى هى من الجماهير حقيقة لا دعية. ومعروض أن ما يسنه من تشريعات

ملحوظ فيه مصلحة رءوس الأموال، ولا يمكن أن يسراً من هذا
الميل بحال من الأحوال!

وأما في حالة حكم الطبقة العمالية، فمفروض سلفاً أن
هدف التشريع كله هو تحطيم «الطبقة السورحوازية» ومهما تكرر
حمرع العمال هي الأغنية، فهك فريق آخر ليس التشريع في
صفه، بل هو صده على وجه اليقين، صده بصراحة وعن عمد
وإصرار!

والحال كذلك في كل نظم لا يملك الأفراد فيه لفهم الخسر من
مواردهم الخاصة، ويعيشون فيه مهددين أن يفقدوا مورد رزقهم
إن هم جالغوا عن إرادة من يملك في يده هذه الأوراق!

ودلك كله في البلاد التي تستمد تشريعها من واقعها، ولا
ستورده من الخارج استيراداً على نحو ما يقع في بعض البلاد التي
تسمى «إسلامية»! أما في حالة الاستيراد والتقليد، فتم العيب
لنأى، وتقع المحوة بين روح القانون وروح الجماهير، لأنه
عرب علبها، لم ستمد من روحها وأوصاعها وحاحاتها. وتقع
مصحكات مكيات في تطبيق القانون لمستعار، لو كبر للذين
يضعونه قسط من الصبر، وقسط من آدمية التفكير، ما ظلوا
يستمدون التشريع من حيث يستمدونه في اطمئنان^(١)!

وعلى حين لا تملك انقوابن الوضعية جميعها، في قديم الدهر
وحديثه أن تقرأ من عيب أو أكثر من تلك العيوب، تنف الشريعة

(١) يراجع كتاب «الإسلام وأوصاع القانونية» الأستاذ عبد القادر عودة

الإسلامية وحدها مرة من تلك العيوب جميعاً، بلا نظير ولا شبه.

إنه لا محل في الشريعة الإسلامية لشعور فرد أو جماعة بأن القانون ليس عدلاً بالقياس إليها. لأن أسباب الانحراف عن العدل غير قائمة، بحكم أن المشرع للجميع هو، له الجميع، فلا مصلحة له في محاباة فرد أو جماعة. وهذا تنمحي من المجتمع الإسلامي فكرة الطقة. تنمحي بحكم أن ليس هناك قانون يدحض مصالح طقة معينة، فيوفرها لها على حساب طقه أخرى. فكل فرد له حقوق وعليه واجبات متكافئة مع هذه الحقوق. وهكذا يظل المجتمع الإسلامي مجموعة أفراد متكافأ حقوقهم وواجباتهم في القانون، لا مجموعة طبقات تتصارع مصالحها وتتصادم، ويفضي القانون لمعضها على بعض، في هذا الجواب أو ذاك؛ وساء على ذلك فلا ظل ينظم الطبقى في الإسلام، وبالتالي لا وجود للصراع الطبقي، حين تعد الشريعة لإسلامية كاملة في عالم الحكم وعالم المال؛ ولا وجود للشعور بانتهاء العدالة القانونية، ومحاولة الخروج على القانون بدفع من هذا الشعور. إنما تنشأ الانحرافات الفردية، وهذه ليست بدات بال

ولا مجال كذلك للعبرة بين روح التشريع وروح الأفراد وجماعات. فالشريعة الإسلامية بحكم ما فيها من تنسيق شامل، عرصتها من غمادح كثيرة فيما مضى، تلبى حاجات النفس البشرية في كل مجال للنشاط الإنساني. فهي تلبى حاجة الجسد وحاجة الفكر وحاجة الروح، في شعائرها وشرائعها سواء. وهي تلبى

حاجة الأفراد وهم يعمون فرادى وحاجتهم وهم منتظمون في
 جماعة، فلا يصدم رغباتهم المصرية السليمة، لا تكت طاقتهم
 لطبيعية انقويّة وفي ذب الوقت تصع الحدود للشاهد الشاد
 الذي يصيرهم أفراداً وجماعات، وتعطى الجماعة ممثلة في الدولة
 كل لسلطات اتى تتصع بها خير الجميع من نشاط الجميع
 وإنتاجهم، وتكف بها خير الجميع أيضاً كل نشاط وحش بحانب
 المعطرة السوية المسقيمة. وفيما مضى أمثله فيها، كناية على هذه
 الظاهرة المميزة لطبيعة الشريعة الإسلامية.

وأخيراً فلا محل كذلك لشعور الفرد بالحاجة إلى التمرد
 لتحقيق شخصيته والشعور بالاستعلاء تجاه فرد هي المجتمع أو هيئة
 أو جماعة، إلا أن يكون ذلك الاستعلاء لمصالحك على الناس

إن شعور الفرد بأن قوة أعلى من قوته ومن قوة أشدّ حمعاً
 هي التي تشرع له، لكفيل بأن يشعر بالاستعلاء أكثر مما يشعره
 بالاستعداد، وبأن يحقق له شخصيته أكثر مما يكتمه ويصغته.
 وهي مزية لا تتوفر في نظام فط إلا النظام الإسلامي، الذي يجعل
 الجميع سواسية أمام التشريع، لا باللفظ المموه ولكن بالحقيقة
 لواقعة

إن الإسلام وحده هو الذي يجعل صاعدة الحاكم مسمدة من
 قومه على الشريعة التي هم يصنعها هو بل وصنعها إله الشر
 حمعاً، وموقوفة تنفيذ الحاكم لهذه الشريعة وأتباعها، لا تنفيذ
 فوائس يتدعها تحالف عن شريعة الله العليا فإذا اختلفت الحاكم
 والمحكومون في حكم أو قضية، فليس الطريق هو الإذعان لإملاء

الحاكم، إنما الطريق أن يرجع الحكم والمحكوم إلى الله والرسول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (سورة النساء الآية: ٥٩).

وذلك منتهى ما يتطلبه الفرد لتحقيق شخصيته، ما دامت فطرته سوية لم تشد أو تنحرف وبهذه الكثرة العالمية يشرع الإسلام فيحقق في محيطها الأمن والسلام.

* * *

وكذلك يرى أن جميع المبادئ التي أسسها نبيها لتحقيق التوازن الاجتماعي إنما هي مبادئ في يد «الدولة بسمة» التي تحكم شريعة الله كاملة، والتي لا تستمد قوايتها إلا من هذه الشريعة والإسلام كل لا يتحرراً، ولا يحسراً منه بحكم دور حكم، ولا بمبدأ دور مبدأ ولا محال شحريته واختيار بعضه وترك بعضه فهذا ليس الإسلام!

سلام العالم

فى ضوء نظرة الإسلام الكلية للكون والحياة و لإسار النى
أحمتنا خطوطها الرئيسة فى صدر هذا الكتاب ، ثم فى ظل طبيعة
سلام فى الإسلام ، التى سبق الحديث عنها هناك نستطيع أن
نشير حطة الإسلام ، فى تحقيق السلام الدولى بين سى الإنسان
ولقد سرنأ معه فى خطواته إبيها من «سلام الضمير» ، إلى «سلام
البيت» ، إلى «سلام المجتمع» ، حتى «أسلمنا هذه الخطوات إلى
«سلام العالم» ، فى تناسق واطراد .

إن الطرة الكلية للإسلام عن الحبة تهديا إلى أنه يعد الحباة
الإسبىة وحدة وحدة من ناحية ارمى ، متماسكة احلقت ،
متدرجة الخطوات ، متصامة الأحيال ، متعاقبة الأطوار - ﴿ كَيْفَ
تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَكُنتُمْ أَمْوَائًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴾ (سورة البقرة الآية - ٢٨) ووحدة من ناحية المطرة ،
متماسكة السوارع والأشواق ، ممتربة ادة والروح ، قابلة للارتفاع
إذا حس توحىيها وتركيتها ، مستعدة ليهوط إذا ساء التوجيه

والقيادة ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾ (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ حَابَ مِن دُشَاهَا ﴿ (سورة الشمس الآيات: ٧-١٠).

وصورة السلام في الإسلام التي تقوم على تلك الطفرة الكلية الأولى يهدينا إلى أن الإسلام يعد البشرية كلها شريفة واحده ويعد الدين كله ديناً واحداً، ويعد المؤمنين كلهم أمة واحدة، ويعد لإسلام هو لصورة الأحيره والنهائية لهذا الدين الواحد، فهو صدق ما تقدمه، ويهمن عنه لأنه الصورة النهائية له: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمًا عَلَيْهِ﴾ (سورة المائدة الآية ٤٨)

والمسلمون إذن مكلفون شعاع إساية تجاه هذه الشريعة بحكم وصايتهم هذه عليها ووصاية كتابهم على كتبها هم مكلفون أن يحققوا في لأرض ذلك السلام الذي أسلمنا خطواته في الصمير والبيت والمجتمع، وعرفنا أسسه ومبادئه من إفراد الله سبحانه بالألوهية والربوبية وبالحاكمية، ومن العدل والمساواة والحرية، ومن صماعات الحياة القديونية والمعيشية، ومن منع البغى وزالة الظلم، وتحقيق النوارن الاجتماعى، والتكافل والتعاون، وزالة أسباب الفرقة والخصام والبرع بين الأفراد وبين الجماعات، وسد الذرائع التي ندعو إلى قيم الطبقات وتميرها وصراعها إلى آخر ما سبق بيانه في الفصول المتقدمة من هذا الكتاب.

وقد جاءت هذه الأمة وسطاً، عادلاً بين طرفى التمر ريط والإمراط فى كل اتجاهات الحياة، كما ترسم لها حدود هذا

الدين ومبادئه التي عرصا طرفاً منها في مجال السلام، فكان عليها أن تهتم بهذا العبء، وألا تنكل عنه، لأنه بصيبيته يقدر لها في أحياء من خالق الأحياء. ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ لَكُمْ أَسْمَاءُ شُهَدَاءَ﴾ (سورة البقرة الآية: ١٤٣) . . ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ (سورة آل عمران الآية: ١١٠)

الجهاد في سبيل الله

ولكن هذا الدين - مع هذا كله - لم يعتسف لأمر، ولم يكلف المسلمين إكراه غيرهم على اعتناق عقيدتهم، سبب أنها الصورة الكاملة الشاملة الصديقة لدين الله الواحد في الأرض ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (سورة البقرة آية: ٢٥٦) إلى كلفهم أولاً حماية مؤمنين حتى لا يعتروا عن دينهم، وكف انقوة عنهم بالقوة. لأن الدعوة بالحسنى هنا لا تجدى، وليس هذا مكانها. وكلفهم ثانياً كرامة حرية الدعوة، وإزالة كل قوة طوعية في الأرض تمنع أن تصل دعوة الإسلام إلى الناس كافة. وكلفهم ثالثاً، إقرار سلطان الله في الأرض، ودفع المعتدين على هذا سلطان أوثق لدين دعوى أن لهم حق التشريع للناس من دون الله. فهم يدعون بهذا حق لألوهية ويقسمون من أنفسهم أرباباً مع الله أو من دون الله. وكلفهم رابعاً إقامة العدالة الكبرى

في الأرض ، وتمتيع البشرية بهذه العدالة في كل مدينتها ، سواء كانت خاصة بالأفراد في المجتمع ، أو بالجماعات في الأمة ، أو للأمم التي تعيش على هذه الأرض وتتألف منها البشرية لكسرى وهذا التكليف يقتضي استمير أن يكافحوا ربوبية الطواغيت وحاكميتهم ، وأن يكافحوا لظلم واللعى حيث كان ، ولو كان ظلم الأفراد لنفسه ، أو ظلم الجماعة لنفسها ، أو ظلم الدولة لرعاياها . . فحيثما كان على وجه هذه لأرض ظلم فالأمة المسلمة مكلفة أن تكفحه وتزير أسانه ، لا لتمسك الأرض ، وتستدل الرقاب ؛ بل لتحقيق كلمة الله في الأرض حالصة من كل غرض ، وتعرض ربوبية الله وحاكميته وعدله وهذا هو ما يطلق عليه في الإسلام «الجهاد في سبيل الله» أي الجهاد لتحقيق ربوبية الله ليعاد لتكون كلمه الله العليا ، لا يكره الناس ليكونوا مسلمين ، بل بإتاحة الفرصة لهم ليخلصوا من ربوبية الطواغيت ، ويملكوا حرية الاختيار دون تدخل من لقوة الطاغية الصاله ، ويستمتعوا بالعدل المطلق الذي يريده لهم الله : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ﴾ (سورة النساء الآية ٧٦) وذلك مفرق الطريق بين الجهاد في سبيل الله والجهاد في سبيل الشهوات .

ولقد تصممت مبادئ الإسلام الأساسية ثورة حقيقية كامنة ، تعد أكبر ثورة تحررية عرفتها البشرية ثورة على ربوبية العباد للعباد . ثورة على الصنم بكل صوره و بواعه ، وفي كل ميادين ومحالاه ، وثورة على لظلم والحكومات والأوضاع التي تسد

هذا الظلم وتستفيه لحسب فرد على جماعة هي صورة حاكم أو مستعمل ، أو لحساب صفقة على طقة في صورة إقطاعيين ورأسمايين وصعاليك ! أو لحساب دولة على دولة في صورة محتلين ومستعمرين .

ولم يكن بد من أن يقوم به أفراد ، وإن تقوم به طوائف ، وأن تقوم به دول . ولم يكن بد كذلك من أن يمضي الإسلام بثورته الكاملة الشاملة في وجه هذه المقومة . ولم يكن بد من أن يكتب الجهد على المسلمين لنصرة هذه الثورة وتحقيق ربوبية الله وحاكميه في الأرض . واستفاد الشريعة أفراداً وجماعات من حور الأرباب الأرضية الممثلة في الأشخاص والحكومات والنظم والأوضاع . لكي يقيم السلام العالمي لأكر على نفسه الأمانة ، لا بين الدول فحسب ، ولكن في داخل هذه الدول كذلك فلا يسكت على وقوع الظلم في داخل دولة من الدول ليشتري السلم معها بأي ثمن . إن النظرة الإسلامية نظرة ربابية محيطها «العلم» وموضوعها «الإنسان» . فليس همه أن يشتري السلم الكاذب مع دولة من الدول ، بأن يدع هذه الدولة تقيم لرعاياها أرباباً من دول الله ، يدعون حق الربوبية فيها ، وتحرمهم العدل والقسط والعدن الاجتماعي . هؤلاء الرعايا الذين تحكمهم تلك الدولة الضالة ، أياً كان دينها ، وآباء كان شكلها ، هم ناس من البشر ؛ والأمة المسلمة مكلفة أن ترفع عنهم الظلم ، وتمنعهم بالعدل ومن ثم يصرف الجهاد إلى تحقيق فكرة لثورة العالمية ، لا إلى الحكم والسيطرة والغنم ، وبهذه الثورة يحقق السلام بكل صوره . سلام الصمير

وسلام البيت وسلام المجتمع ثم . سلام الإنسانية في الهدية .
سلامها في طلال العدل الشامل الذي يناله الإنسان مجرد أنه
إنسان ، لأنه من حقه كإنسان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ
بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلِرَّءَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾
(سورة النساء الآية : ١٣٥) . . ﴿ وَلَا يَحْرِمَكُمُ شَأْنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا
تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (سورة المائدة الآية : ٨) .

وهذه الخطوط تصور طبيعة السلام العالمي في الإسلام ، فليس
هو سلاماً بالمعنى الضيق أى تجنب القتال بأى ثمن ، وثياً كاست
الأسس التي يقوم عليها ترك القتال . إن هالك سلاماً رخيصه
دنية ، هي السلم التي تقدم على حساب لبشرية ، وعلى حساب
المبادئ العليا للإنسانية ، كما أرادها الله في الأرض لنبي الإنسان ،
وهذه هي السلم التي يحذر الله المسلمين منها ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا
إِلَى السَّلَامِ وَأَتُمُّوا أَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ ﴾ (سورة محمد الآية : ٣٥) .
الأعداء لأنكم تمثلون الصورة العليا للحياة ، والتي لا بد لها من
النصر حين يؤمن الناس بها لأنها من كلمة الله : ﴿ إِنْ تَصَرُّوا لِلَّهِ
يَصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (سورة محمد الآية : ٧)
﴿ وَلْيَصْرِنَ اللَّهُ مِنْ يَصْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤) الذين إن مكّاهم
في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن
المُنكر وبالله عاقبة الأمور ﴿ (سورة الحج الآيتان : ٤٠ ، ٤١) .

وإذن فالإسلام في جهاد دائم لا يقطع أبداً لتحقيق كلمة الله
في الأرض ، أى تحقيق النظام الصالح الذي يقوم على مبادئه

أعليا في عالم الفرد وعالم الجماعة وعالم البشرية ، وهو مكلف ألا يهادن قوة من قوى الطاعوت على وجه هذه الأرض ، سواء تمثلت هذه القوة في صورة فرد يتأله على الأفراد والجماعات ، أو في صورة طبقة تستغل الطبقات ، أو في صورة دولة تستغل الدول والشعوب . إنها كلها صورة وحدة في عرف الإسلام ، صورة مافية لمبادئه الأساسية ، وعليه أن يجاهد ما استطاع ، وعليه ألا يهادنها إلا ريثما يتجمع لكفاحها ، وعليه بطسعة الحال ألا يعاونها ولا يقف في صفها بحال من الأحوال ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (سورة المائدة الآية : ٢) .

إن قوة الإسلام قوه محرره سطلق في الأرض لتلك قواعد الظلم والاسترقاق والاستغلال وهي لا تنظر في هذا المجال جنس ولا لون ولا لغة ولا أرض ، الناس سواء ، كنهم ناس ، أما فكرة لقومية الصيغه التي اعتفتها أوربا ، والتي استقلت ، لينا عدواها في حدودها لصبغة اهيريلة السخيمة ، فلا يعترف بها الإسلام لأنها تحالف نظريته اكلية عن وحدة اشريه

حيثما كان ظلم فالإسلام متائب لرفعه ودفعه . وقع هذا الظلم على لمسلمين أو على الدمييين . أي الدين أعضاءهم الإسلام دمنه ليحميهم . أو على سواهم ممن لا يرظلمهم بالمسلمين عهد ولا اتفاق . وأظلم اظلم تعبد العباد لغير الله وإقامة أرباب يشرعون لهم م لم يأذن به الله . وحيثما واحه الإسلام الفرد الظلم أو الطبقه الظالمة أو الدولة الظالمة ، واحهم على أنهم جماعة من الشر تظلم جماعة من الشر ، لا على أنهم سود أو حمر أو صفر

وأيضا ولا على أنهم مسيحيون أو يهود أو مشركون و جههم
يقدر من يعطون من تحقيق كلمة الله في الأرض، ومن تحقيق
للسلام، حميت سبي الإنسان وكان عينا على كل بحسب نصيبه
من هذا لتعطيل، وبحسب عتوة وصلالة وفساده فإذا
ستسببت هذه القوة الصاعدة أو هتدت، ولأفراد بعد ذلك أحرار
فيما يتحدون لأنفسهم من عميدة، في ظل الصم الذي يردد الله
بالأبوية والربوبية فيرده بالسلطان والطاعة

والإسلام بوجه القوى لو فقه في وجهه بواحدة من ثلاث
لإسلام. أو الجحيرة. أو القتال.

وأما الإسلام فلأنه الصورة، الأخيرة لدين الله الحالد، ولأنه
الهدى للشرية حميت، ولأنه المومنين الذي بحقوق العدالة
لإنسانية الشاملة للجميع

وأيضا حرية فلأنها دليل الكف عن المفومة. وتحقيق حرية
الدعوة، وإزالة القوة مادية التي تصد الناس عنها

وأما القدر فلأنه في هذه حالة هو الرد البقي على مفومه
كلمة الله عز إصرار وعقد، وحرمان الشرية من الاستمتاع بما
تحميه لها هذه الكلمة من نور ومن عدد ومن سلام شامل كما من
لسي الإنسان.

فإذا استسلم من يطلب السلام، فهو لاء هم «الدميون» أي
لدين أعطاهم الإسلام دمه وعهده لحمايتهم ورعايتهم. وهو لاء
هم ما للمسلمين وعنه من على المسلمين نص للإسلام

الصريح فأمام يؤخذ منهم من الحرية، فهو مقابل ما يؤدي المسلمون من الزكاة، مساهمة في نفقات الدولة التي تحميهم كما تحمي رعاياها مسلمين وسواء، والتي توفر لهم العدن المطلق بلا هرقه ولا تمييز، وتحقيق لهم صمباتهم وبأمينانهم، في حالة المرض والعحر والشبحوحة ولم يشأ الإسلام أن يحبرهم على أداء الزكاة، لأن الزكاة عادة إسلامية خاصة، وحرية الاعتقاد التي يكفلها الإسلام للأفراد تمنعه أن كرهه الذميين على أداء عبادة إسلامية ولم يشأ كذلك أن يحبرهم على الخدية في الصم المسلم. لأن المسلم إما يحاهد في سبيل الله عبادة لله لهذا يأخذ منهم الصربية تحت عنوان «الحرية» لا تحت عنوان «الزكاة» مراعاة لهذا المبدع الإسلامي العام. ﴿لا إكراه في الدين﴾ (البقرة: ٢٥٦)

فإذا شاءوا هم برصهم واحبرهم أن يؤدوا صربية الزكاة كالمسلمين بدل الحرية كان لهم ذلك عن رصا واحتير وقد احتارت قبيلة بني تغلب على عهد عمر أن تؤدي الزكاة لا الحرية، فأدتها على هذا الأساس^(١).

لذلك لا يكون هباك أعحب ولا أحسث من إثارة الشكوك والمخاوف حول الأقليات المسيحية وغير المسيحية في الأمة الإسلامية إذا حكم الإسلام إنها دعابة حسيثة معرضة اثمة يتولاها أحبباً جماعة من حمقى هذه الأقليات وخشائنها الدين تغل بموسهم حقاً وغلاً للإسلام. لا نشيء إلا لأمة الإسلام

(١)، كتاب الدعوة إلى الإسلام بألف «سير» و «أريود» وبرحمه حسن إبراهيم حسن وزمليه ص ٤٩

ويتولاها أحياناً أفر د يحملون سماء مسلمة، وهم فتات آدمى مهلهن يحاول أن يستند إلى أوكرا الدعاية الخبيثة، لأنها تملك لهم أعراضاً صعبة من المصع لمادى أو من الشهرة والدعاية لأشحب صهم الهزيمة المدحولة، ولأنهم يحسدون بذلك عند لصبيين من المشربين وبعض المستشرقين صدر أرحباً، بما يؤدون للصبيبة الحارحية من خدمات، لا يؤديها الرجل المسلم ولا الرجل الشريف على أى حال!

روح السماحة الإنسانية

إن فى روح الإسلام من السماحة الإنسانية ما لا يملك مصنف أن ينكره أو يراوغ فيه؛ وهى سماحة مندولة للمجموعه الشرية كلها لا لجنس فيها ولا لأتبع عقيدة معينة، إنما هى للإنسان بوصفه إنساناً

وعندما يؤدى الإسلام واحسه فى هداية الششرية ويهضر تكاليفه فى دفع الظلم والفساد عنها، لا تنهى له سلطه تعسفيه على فرد أو قوم، ولا تنهى فى صدره إحنة على صفة أو جنس

وهى روح تمكركه من إقرار السلام فى الأرض، ومن تأليف الأحاس والألوان، ومن إشاعة السماحة والود والراحم بين سى اسشر، ومن سمة حواحيه من سموم لتحاسد الفردى، والتطاحن الطبقى، والتناحر بعصرى، كما تمكركه من كف اخروب والمحارر التى تقوم على تلك الأسباب، وعلى الرعية فى المنح والتوسع لمجرد الاستغلال المادى أو العظمة الكاذبة

وهي مبدئ الإسلام العامة ما يصور هذه الروح الإنسانية
 الخاصة ﴿يَأْيُهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَحِمَاكُمْ
 شُعْرَابًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (سورة الحجرات الآية ١٣) . ﴿وَلَا
 تَجَادَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ
 رَقَرُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكُم وَإِلَيْهَا وَإِلَيْكُمْ وَإِلَيْكُمْ وَاحِدٌ
 وَبِخَنٍ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت الآية ٤٦) ﴿قُلْ لِلدِّينِ
 أَمْرًا يُعْزَرُ وَاللَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ (سورة الحاثية الآية : ١٤)

وعن حابر بن عبد الله قال : «مرت بنا حاضرة فقام النبي وقفت
 فقلت يا رسول الله إنها جدارة يهودى . فقال أوليست بفساء؟ إذ
 رأيت الحاضرة فقوموا»^(١).

وبهذه السماحة الإنسانية الخاصة سار خلفاء الرسول وسار
 المسلمون في العالَم ، فلم يد إلا فلتت عذرة من التعصب في
 غير واحب دى ، وفي غير ظلم يدفع أو فساد يرفع ، وقد وقعت
 على أبدي أناس لا يعدون عثميين للإسلام ولا فاهمين لمبادئه العليا
 وروحه الإنسانية .

رأى عمر شبحاً صريخاً يسأل على باب ، فسأ ، فخدم أنه
 يهودى ، فقال له ما الخناك إلى ما أرى؟ قال الحرية والحاجة
 والس ، فأخذ عمر بيده ، وذهب به إلى منزله ، فأعطاه ما يكفيه
 مناعها ، وأرسل إلى حابر بيت المال «انظر هذا وصره» ، فوالله

(١) البخارى

ما أنصفناه أن أكلنا شيبته ، ثم يحدله عبد الهرم «إيما الصدقات
للعقراء والمساكين» . وهذا من مساكين أهل الكتاب» .

ولما سافر إلى دمشق مر بأرض قوم مجدمين من البصري ،
فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يحرق عليهم القوب

ولقد كانت هذه لروح السمحة هي التي احتدست الناس إلى
الإسلام ، ويسرت له أن ينساح في الأرض بتلك السرعة العجيبة
الحارقة ، فقد كان الناس يعرفون إليه من الاصطهدات الدنيية
والعصرية السائدة حينذاك ، وهم ينتظرون لديه السماحة والعدالة
والمساواة .

حاء في كتاب «الدعوة إلى الإسلام» تأليف «سيرت و
أرنولد» وترجمة حسن إبراهيم حسن ورميليه في ص ٥٣ وما
بعدها .

«وقد استطاع مباحثيل الأكر Michael the Elder بطريق
أنطاكية ابغقوى أن يحدد فيما كتبه في لنصف الثاني من القرن
الثاني عشر ، ما كتبه إخوانه في الدين ، وأن يرى وضع الله في
المتوح العربية حتى بعد أن حشرت الكنائس الشرقية الحكم
الإسلامي خمسة قرون ، وقد كتب يقول بعد أن سرد اضطهدات
هرقل

«وهذا هو السبب في أن إله الاتسقام الذي تفرد بالقوة
والجسوت الذي يديل دولة الشر كما يشاء ، فيؤتيها من يشاء ،
ويرفع الرضيع ، لما رأى شرور الروم الذين لحأوا إلى القوة فنهوا

كنائس وسلبوا أدياراً في ممتلكاتهم كافة وأنزلوا بنا لعقاب في غير رحمة ولا شفقة، أرسل أباء مساعيل من بلاد الخروب لتخليصنا على أيديهم من قبضة الروم. وفي الحق إذا كان قد حملنا شيئاً من الحسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا، وإعطائها لأهل حلقيدونية، فقد ستمرت هذه الكنائس في حوزتهم. ولما أسلمت المدن للعرب حصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتها (وفي ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حمص الكري وكنيسة حران) ومع ذلك فلم يكن كسباً هيباً أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحنقهم وتحمسهم العيف ضدنا، وأن نحدد أنفسنا في أمن وسلام.

«وما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن وعسكر أبو عبيدة في فحل، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد إلى العرب يقولون «يا معشر المسلمين أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفى لنا، وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا، وأحسر ولاية علينا وبكمهم علينا على أمرنا وعلى مدينا» وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقس، وأدعوا المسلمين أن ولايتهم وعدلهم أحب إليهم من ظلم الإغريق وتعسفهم.

«وهكذا كانت حالة الشعوب في بلاد الشام، بأن لعروة التي وقعت بين سنتي ٦٣٣، ٦٣٩ م، والتي صرد فيها لعرب جيش الروم من هذه الولاية تدريجياً. ولما صرست دمشق المثل في عقد لصلح مع العرب سنة ٦٣٧ م وأمنت بذلك السلب والتهب، كما صممت شروطاً أخرى ملائمة، سمح لسان سائر مدن الشام في أن

تسج على موالها، فأرمت حمص ومنح (Hieropolis) وبعض المدن الأخرى معاهدات قد أصبحت بمقتضاها تابعة للعرب بل سلم بطريق بيت المقدس هذه المدينة بشروط مماثلة. وإن خوف الروم من أن يكرههم الإمبراطور على اتباع مذهبهم، قد جعل الوعد الذي قطعه المسلمون على أنفسهم بالحرية الدينية، أحب إلى نفوسهم من ارتباطهم بالدولة الرومانية، وبأى حكومة مسيحية. ولم تكن المحاول الأولى، لنى آثارها نرول جيش فاتح فى بلادهم تتدد حتى أعقبتها خمس قوى لصدحة العرب الفاتحين.

«أما ولايات الدولة البيزنطية، التى مرعان ما استولى عليها المسلمون بسالتهم، فقد وجدت أنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة سب ما شاع بينهم من الآراء اليعقوبية والنسطورية، فقد سمح لهم بأن يؤدوا شعائر دسهم دون أن يتعرض لهم أحد، اللهم إلا إذا استتبنا بعض القيود التى فرضت عليهم معاً لإثارة أى احكك بين أساع الديانات المتنافسة، أو إثارة أى تعصب ينشأ عن طهار الطقوس الدينية فى مظهر المتاحرة، حتى لا يؤدي ذلك الشعور الإسلامى ويمكن احكم على مدى هذا التسامح. الذى يلفت النظر إليه فى تاريخ لقرن السابع. من هذه المعهود التى أعطها العرب لأهالى اندر التى استولوا عليها، ونعهدوا لهم فيها بحماية أرواحهم وممتلكاتهم وإطلاق الحرية الدينية لهم فى مقبل لإدعان ودفع الحربة

«وليس من السهل أن يستخلص بناصيل هذه المعهود الدقيقة مما

أصبح يشوبها من زيادات وسواء أكدت هذه التفاصيل صحيحة
 بلفظها أم لم تكرر ، فهي على جانب من الأهمية ، من حيث إنها
 تمثل الرواية التاريخية ، التي أحدها المؤرخون المسلمون في القرن
 الثاني الهجري . وهي رواية كد من العسير أن تستقر دعائمها ، لو
 أن هناك دليلاً يقوم على إثبات عكسها . ولا بأس من أن نورد هذه
 الشروط التي قيل إن الخليفة عمر بن الخطاب قد وضعها حين سلم
 له بيت المقدس . بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطى عبد الله
 أمير المؤمنين أهل إيباء من الأمان ، أعطاهم أمناً لأنفسهم
 وأموالهم وكنائسهم وصلواتهم وسقيمتها وبريئتها وسائر ملتها . أنه
 لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا يتقص منها ولا من حيرها ، ولا
 من صليهم ، ولا من شيء من أموالهم (ولا يكرهون على دينهم ،
 ولا يضار أحد منهم) .

«وفرض عليهم الخراج خمسة دنانير من الموسرين ، وأربعة من
 الطبقة الوسطى ، وثلاثة من الفقراء . وقد رار عمر الأمكن
 المقدسه يصحبه البطريق . وقيل . إنه يسكن في كنيسته ، قبابه ،
 وقد حان وقت الصلاة ، طلب البطريق إلى عمر أن يصلي هناك ،
 وبكده بعد أن فكر اعتذر وهو يقول : إنه إن فعل ذلك فإن أتباعه قد
 يدعون فيما بعد أنه محل لعبادة المسلمين

«وَمَا يَتَّفِقُ مع هذه الروح التي تنطوي على حسن معاملة عمر
 لرعاياه من أصحاب الديانات الأخرى ، ما أثر عن عمر من أنه أمر
 أن يعطى قوم محدومون من النصارى من الصدقات وأن يجري
 عليهم القوت . وهو لا ينسى الدمييين (وهم أصحاب الديانات

الأخرى الداحلون في حمالة المسلمين) حتى في أخرى و صدياه إد
عهد فيها إلى من يحلفه عى ينمى انقيام به فى هد المصب
السمى ، فقال . «وأوصيه بدمة الله ودمة رسوله ، أن يوفى لهم
بعهدهم ، وألا يكلهم إلا طاقتهم»

وبش هد التسامح ، وهذه العدالة ، استطاع الإسلام فى
الماضى ، ويستطيع فى المستقبل ، أن يحقق السلام العالمى فى
الأرض ، لأنه يمح الناس ما لا تمحه لهم عقيدة أخرى ولا نظام ،
ويسلكهم جميعاً فى قاعة إنسانية واحدة ، يحسون فى ظلها
بالأمن والسلام

يقول مستر «حب» فى كتابه . «إلى أين يسحه الإسلام»
«Whither Islam» .

«ولكن الإسلام ما زان فى قدرته أن يقدم للإنسانية خدمة
سامية حليلة ، فليس هناك أى هيئة سواء يمكن أن تحج نحاحاً
ناهراً فى تأليف لأحدس البشرية المسافرة فى جهة واحدة ،
أسسها المساواة وجامعة الإسلام العظمى فى إفريقيا والهند
وإندونيسيا ، بل تلك الجامعة الصغيرة فى الصين ، وتلك الجامعة
لصئيلة فى لبنان ، لتبين كلها أن الإسلام ما زالت له القدرة التى
سيطر كلية على أمثال هذه العاصر المختلفة الأحاس والطقت
فإداما رصعت صارعات دول لشرق والغرب العظمى موضع
الدرس ، فلاند من الالتحاء إلى الإسلام خسم سراع» .

ولقد رأبت فى هذا الحال أن أقتطف من أقوال حلين أوربيين
عصرايين لأن شهادتهم للإسلام قديماً وحديثاً بالسماحة

المطلقة، والعدالة العامة في معاملة المحالفين له في العقيدة، شهادة فوق مستوى الشبهات، ولا يمكن أن تكون صادرة عن حماسة دينية للإسلام، ولا عن مبالغ في كشف مراهبه!

والسماحة الإنسانية، عنصر مهم لإقرار السلام، تفقده كل الحضرار التي تطل العالم ليوم، هذا العالم الذي تمزقه العنصيات الدينية، والعنصيات العنصرية، والعنصيات المذهبية، ويقف على شفا حُرُف هرب سبب تلك العنصيات الذميمة، التي تنقصها روح السماحة الإنسانية، وروح العدالة الحقيقية، والتي تطلق، وفي إثرها الأحقاد والخزارات، والمطامع الاقتصادية وغير الاقتصادية، فتحيل الحياة البشرية حقيماً في الحرب وجحيماً في السلم، وتشرف فيه المجاعات والمخاوف؛ وتنف لأم بعضها من بعض موقف الخذر الدائم والقلق الدائم، وتثقل على أعصاب الناس فتصيبهم بالضغط العصبي والدموى، وتدفعهم في تربع بأنفسهم وسواهم، وهي دعر لا أمن فيه، وحق لا سلام فيه، وظلمة لا بصيص فيها ومع هذا كله، تجد تلك الحضارات النائية معجيين ومدافعين. وهي تسوم البشرية شقاء بعد شقاء، وحريراً بعد حرب، وبلاء بعد بلاء. لماذا؟ لأنها تملك تسخير الحديد والنار والكهرباء والبحار، وتملك صنع لقنبلة الذرية والقنبلة الأيدروحينية والأقمار الصناعية، ولا تملك ذرة واحدة من درات المحبة ولا عنصرأ واحد من عناصر السماحة، ولا طاقة واحدة من طاقات الإنسانية!

ألا إنه المسخ الذي يصيب الروح البشرية في عصر لظلام

الروحى والانتكاس . وما هالك من سسم يمس هذه الروح
فيشفيه ، وما هالك من شعاع يصىء طلماتها وخوافيها ، إلا أن
يقود الإسلام البشرية مرة أخرى ، فيردها إلى السماحة الإنسانية ،
ويحيل كشفها وعلومها أداة رحمة وحصارة وسلام .

العنصر الأخلاقى فى المعاملات

بعل أبرر ما عيز الروح الإسلامية هو سيطرة العنصر الأخلاقى
على العلاقات الدولية فى السلم والحرب سواء ، والتحرر من
الأئنة الصغيرة المحدودة التى تعبد «الدولة» أو «الوطن» أو
«الجنس» أو «الطبقة» وتعدّها عاية مقدسة فوق المثل والمادئ
والأحلاق . هذه الروح اسى تسود علاقات الدور والجماعات
فى سائر النظم التى عرفتها الأرض - عد النظم الإسلامى - فتفسد
حو الحياة البشرية وتحيلها كحياة الذئاب فى الغابة ، لا عهد فيها
ولا ميثاق ، ولا محل فيها لقبر العدر واسفاق

ولقد شهدت البشرية فى الحقبة التى سيطرت فيها أوربا مثلاً
من عهود الغابة ، وصوراً من شرائع الدئاب . شرائع الغدر
واللفاق والخسة ونقص العهود وخيانة الوعود ، وتمزيق
الاتفاقيات ، ووصف المعاهدات بأنها قصصات من الورق كما
شهدت من وحشية الحرب ما يخجل الوحوش أن تأتبه وكان
آخر هذه الوحشية السفرة قبلتا هيروشيما وناحزاكى .

وسنشهد البشرية فى مستقبلها القريب من ألون الحياة

والعذر، ومن صنوف لوحشية والبربرية ما يتفق مع روح هذه الحضارة المادية الكافرة، التي لا تؤمن بدين ولا خلق، ولا تفيد نفسها بمجد! ولا ضمير، مما يمشى مع الفكر المادية العليقة لتي تسيطر على هذه الحضارة، فتنتهي من احياة كل عنصر غير المصلحة المباشرة والعنصرية اللثيمة.

ومستغل فكرة الإنسانية الواحدة، بعدة عن اسحقق في ظل هذه الحضارة الخقيمة الروح المتعصنه الضمير، مهمم بؤدى فيها بفكرة الوحدة العالمية، لأن هذه الوحدة لابد من أن تقوم على عقيدة أدبية، تكيف لصلات المدية، ونسير الآلات والأجهزة لباء الحياة لا تمطيم الحياة.

وستظل الأطماع ادولية تتحكم، فتتيح للسياسة والقادة كل مسكر وكل إحرام وكل وحشية، لأنها موجهة إلى دولة أخرى أو حس أحر أو طبقة أخرى وما دامت فكرة قداسة ادولة أو الحسن أو الطبقة لا قداسة الإنسانية- هي التي تتحكم، فلن يكون هالك رادع عن ارتكاب أخط الخرانم في حموق الآخرين، واعتبار المحرم بطلاً عظيمًا، والعذر سياسيا بارعًا على بحوم شهدت اسشرية في تاريخها كله، فيم عددا الفترة اتى سيطر فيها الإسلام، فكانت قبسًا من النور في غياهب الظلام

إن الإسلام قوة تحريرية - كما أسلمنا - تنطلق في الأرض لتقرر ربوبية الله وحده للعباد، ومن ثم تحرر البشر من أغلالهم، وتمنحهم الحرية والنور والكرامة دون نظر إلى عصرية عنصرية أو عصرية طبقية - فإذا اصطدمت هذه القوى بقوى الشر والطغيان

والاستعداد كافحت هذه لقوة الشريرة وحدها، امرأة من كل عاية
استعمارية ومن كل عاية اقتصادية «فقد بعث محمد هادياً ولم
يعث جانياً» كما قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، لعامله
ابدى أرسل إليه يشكو نقص الحرية لأن الناس أثروا الإسلام!

وحيث يطلق الإسلام ليقوم بواجبه في التحرير والتطهير لا
يسى أن مصدحة البشرية العليا هي هدفه الأول، لا مصدحه
العاجز اشخصية، ولا مصدحة المسلمين الخاصة، فلا مجال إذن
لفكرة قداسة الدولة أو المجلس التي تبيح المحظور، وترد المنكر،
وتصف العذر والفاق والكذب بالسرعة السياسية، أو تصف
القسوة والحرمة والوحشية بالطولة الحربية

إن العهد مقدس، مهما يموت على المسلمين من مصالح
قريبة، ومطامح مرغوبة؛ وإن الشرف مرعى مهما يسبب
للمسلمين من خسائر ومتاعب، وإن الشعور الإنساني منحوط،
مهم تكن قسوة المعركة، وحرارة الصرب والحرب وقد كسب
الإسلام بذلك كله ولم يحسر في النهاية. كسب الأرواح
والقدوب، وكسب توطيد اسادى، العلي انتى حء لإقرارها في
الأرض؛ وعوض في النهاية ما فقده بالمحافظة على العنصر
الأخلاقى في السلم والحرب من خسائر حزئية ومتاعب وقتية،
وشهد في فترة قصيرة كيف حء نصر الله والفتح، وكيف دخل
الناس في دين الله أفواجا

لقد جعل الإسلام قانونه في العالم الدولى، بل العالم

لإنسائي ، هو الوفاء بالعهد ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ﴾ (سورة الإسراء الآية ٣٤) . ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ اللَّهُ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُصُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴿ (سورة النحل الآيتان : ٩١ ، ٩٢) .

فهذه الحجة التي تتجدها «الدولة» في أوربا لتسويغ نقص العهود والمواثيق ، حجة مصدحة للدولة ، ينص عليها القرآن ها ﴿ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ﴾ وينص عسى أن هذه الرغبة لا ترر نقص العهد ، ويهي اسلمين عن الاستسلام لها ، ويشبه ناقض العهد ذلك التشبيه المزرى ﴿ كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا ﴾ .

وقد عظم الله الوفاء بالعهد والموفين به ، بقلم من حفر ادين يقضون عهودهم ويخسرون دمتهم ، حتى نبدهم من ساحة الإنسائية وزجهم في حصيرة الحيوانية ﴿ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَقْصُونَ الْمِيثَاقَ ﴿ (سورة الرعد الآيتان : ١٩ - ٢٠) . ﴿ وَالَّذِينَ يَقْصُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّرَجِ ﴾ (سورة الرعد الآية ٢٥) . ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عَدَا اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥٥) الَّذِينَ عَاهَدَتْ

مَنْهُمْ تُمْ يَنْقُصُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٥﴾ (سورة الأنفال الآية ٥٥، ٥٦).

حتى المشركون الذين ناهضوا الإسلام والمسلمين، وأذوهم كما لم يؤذهم أحد من قس ومن بعد. إلا يوم أن صار الأمر للصليبية في الأندلس وفي الحشنة، أو للشيوعية في روسيا ويوغوسلافيا والصين. حتى هؤلاء الذين يقول الله عنهم لمسلمين: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾ (سورة توبة الآية ٨)، حتى هؤلاء يحتم الله على المسلمين أن يسموا لهم بعهودهم، في الوقت الذي أعلن حكمه الأخير فيهم، وهو أنهم لن يبالوا من الله ورسوله بعد ذلك عهداً ولا ميثاقاً؛ ولكن ما سبق إبرامه فهو مرعى لا يبدأ بنقصه المسمون: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتِمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ وَعَلِمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ لِيَمَّ (٣) إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئاً وَلَمْ يُظَاهَرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (سورة التوبة الآية: ٣، ٤).

وحتى المسلمون البعيدون عن دار الإسلام الذين لم يهاجروا إليها حين يستنصرون المسلمين على لأعداء، فإن هذا لا يبيح لإخوانهم نقص العهد الذي سبق له الأداء ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ الضَّرُّ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ (سورة

الأنفال الآية ٧٢) وهى قمة فى لوفء بالعهد تفصر دورها
الكلمات .

ولم تكن هذه مثلاً نظرية ومبادئ مثالية ، إنما كانت سلوكاً
واقعيّاً فى حياة المسلمين وفى علاقاتهم الدوئية حميماً . والأمثلة
على ذلك كثيرة من الواقع التاريخى فى لإسلام ، يحتوى منها
بعضها فى هذا المقام .

قال حذيفة بن ليثان . ما معى أن أشهد بذكر ، إلا أنى حرحت
أما وأبو الحسيل ، فأحدنا كفار قريش فقالوا . إنكم تريدون
محمداً . ففدنا ما يريد وما يريد إلا المدينة ، فأحدوا من عهد الله
وميثاقه لسطوق إلى المدينة ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله فأخبرناه
لحبر فقال . « انصرفا . نعى بعدهم وسعين الله عليهم » .

ولقد غدر بعض المشركين بصلح الحديسة ، وكان العهد فيه أن
من جاء قريشاً من أتباع محمد قبلته ، ومن جاء محمداً من أتباع
قريش لم يقمده . فطل السى مسمكاً بعهدده مع الدين لم يقضوه ،
ولم يقس تابع فرشاً حاءه فى أثناء قيامه . قال أبو رافع مولى
رسول الله : « بعثنى قريش إلى السى ، فلما رأيت لنى وقع فى
قلبى لإسلام ، فقلت . يا رسول الله لا أرجع إليهم ، قال : « إبنى لا
أحيس بالعهد ، ولا أحس لمود ، ولكن أرجع إليهم ، فإن كان
فى قلبك الذى فيه الآن فارجع »

وحيم كان سهيل بن عمرو يعاوض السى فى صلح الحديسة .
وبسما كان يكتب عهد الهدنة وقبل توقيع . حاءه أبو حنبل بن
سهيل يوسف فى لأعلان ، وقد فر من الكفار . فلما رأى سهيل

ابنه قم وأخذ تلايته وقال يا محمد لقد خلت القصية بيني
وبينك. فقال محمد صدقت فقال أبو حنبل يا معشر
المسلمين أريد إلي أنشركم يفتوسى في ديبى فلم يعن عنه ذلك
شيئاً، ورده رسول الله وفقاً للشروط التي اتفق عليها، وإن كان
بعد لم يوقعها.

وكتب أبو عبيد رضى الله عنه، وهو قائد الجيش إلى عمر
رضى الله عنه وهو الخليفة: «إني عبد آمن أهل بلاد العراق. وسأله
رأيه. فكتب إليه عمر: إن الله عظم الوفاء، فلا تكوبون أوفياء
حتى تفوا، فوفوا لهم وانصرفوا عنهم».

وأحب أن أقف قليلاً عند هذا الحادث لبيان طاهرتين دوائين
شأن:

فأما الظاهرة الأولى، فهي تصديق عمر لوعده صدر من عند
مستم، وأمره لقائده تنفيذه، فهو من جانب يحقق تلك المساواة
المطلقة بين المسلمين، ويمح، بفرد. أي كان شأنه. ذلك الاحترام
الوافي. الاحترام لكلمته وعهده بحيث يسرى على سائر
المسلمين، تصديقاً لقول الرسول. «المسلمون تكافأ دماؤهم
ويسعى بذمتهم أدناهم»^(١) وهو من جانب ترسية للرحا بإبرار
البيعة الكبرى الملقاة على كل فرد، فكلمته كلمة الأمة الإسلامية،
فعليه إذن أن يتحرج في إطلاقها، ويدقق في إعطائها لأن الأمة
كلها مأخوذة بها محاسبة عليها.

(١) البخاري

وأما لطاهرة الثابتة، فهي قوله عمر «فلا تكونون أوفياء حتى تفوا»، وما فيها من معنى نارع يصور فكرة الإسلام وطاعته إليه لا وجود للكلمة، لا بتحقيق مدلولها في عالم الواقع، ولا بالتطابق بين القول المدعوى والسلوك المحسوس. وهكذا كان للإسلام في كل مبادئه العلب إبها ليست مثلاً للوعظ، وليست لمطاً للسريق إنما هي نظم للتشديد، وشرائع للتكليف، وواقع من لواقع في الأرض، وقد كانت مثلاً أعلى من وحي السماء

ثم يمضي الإسلام في طريقه العلوي مع الشرف والكرامة والأخلاق فلا يبيع العذر حتى وهو يحشى حياة الأحرار. فلا بد أن يعالهم بالعداوة، ويحاهرهم بالحرب، ويسد إليهم عهدهم في وصح النهار ولا يمتهم بالعدو، وهم مه على أمان: ﴿وَأَمَّا تَحَارُّنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَاذْكُورْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ (سورة الأنفال الآية: ٥٨)

وقد يقع اللبس عند البعض عند سماع حديث رسول الله ﷺ «الحرب خدعة»^(١). ولكن لا يسر في الحقيقة، والخدعة في الحرب تجور، وهي حرب لا سلم، فحين تعبر الحرب والمحالها هو مجال الخطط الحربية، والعدو يعتم وبأحد حدره، ويدبر أمره، والخدعة حسنة مهارة حربية وبراعة عسكرية في ميدان الحرب لا في ميدان السلام

ولقد كان النبي ﷺ إذا أراد عزوة ورى غيرها لياغت

(١) حرجه أنورد و

الخصوم الذين أخذوا بحاب الخصومة الصريحة، لا ليعدر
بالمعاملة الأمين، ويباعثهم من حيث لا يحتسبون

وهكذا يقف الإسلام القوى موقف الشرف الحارم . فلا غدر
ولا ضعف، ولا تعنت ولا استخداء . إنما هي عزة الأقوياء،
وشرف الكرم، وعهد الأوفياء . كذلك تبدو هذه الظاهرة في
تأمين المشرك المسحير ؛ لأنه في هذه الحالة لا قوة له تؤدي، فمن
حقه ألا يؤدي ؛ لأن الإسلام لا يسغى فناء محالفيه، إنما يسعى
هدايتهم إلى الطريق، وهو لا يعجل إليهم بالأذى وهم في فترة
السمع والبان ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى
يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ﴾ (سورة التوبة الآية ٦)
فليست هي الإجرة فقط، إنما هي الحماية كذلك حتى يبلغ محله
في أمان .

وبه لأفق أحر من أفق السمو لا يلعه إلا الإسلام

وكذلك تتضمن القانون الإسلامي الدولي تأمين المعوثين
والمعرضين وحصاتهم، فلا يمسون بسوء في طرف من الظروف

حاء ابن النواحة وس اتال رسولا مسيلمة إلى النبي ﷺ فقال
لهمما: أتشهدان أنى رسول الله؟ قالالا: شهد أن مسيلمة رسول
الله! فقال رسول الله ﷺ: «أمنت بالله ورسوله! لو كنت فائلاً
رسولا لقتلتكما»

وأما إن تكر الحرب، فهي إذن حرب انتحريه للشريه. الحرب
على عبودية البشر لناس من البشر، وعلى الطغيان والظلم

والشطط، وعلى الحرافات والأوهام، والأساطير حرب التحرير
بكل معانيها وفي كل مبادئها الحرب خاصة من لهوى ومن
الدوافع الاقتصادية والعنصرية واسطيقية. الحرب التي يشرف
الإنسانية أن تخوضها لأنها نصير للصفت الإنسانية وللحقوق
الإنسانية وللماضي الإنسانية.

إنها ليست الحرب التي تديرها رءوس الأموال المحرمة لتربح
من وراء لصناعات لجهنمية، التي تقتات بالأرواح والأجسام،
وتتلع الخسارات والمدنيات، وتحطم النفوس والأخلاق. أو
تديرها اشركات الاحتكارية لحماية مصالحها في البلاد
المستعمرة، واستغلال خاماتها من القوى الطبيعية والقوى
البشرية؛ وفتح أسواقها للمنتجات والمصنوعات أو تديرها
البيوت المالية الربوية، لتحقيق أرباحها الفاحشة، وصمان المكسب
احرام، واستغلال المرض، والصيد في الماء العكر.

إنها ليست الحرب التي تريد لتصرف سرور فولاذي على
الشعوب، دون المعرفة والعلم والحصارة كي يمهي أبناء البلاد
للمحنة عمياً صمّاً بكمّاً، يساقون سوق الماشية إلى الذبح في دل
وفي حهل وفي استسلام

إنها ليست الحرب التي تحوصها الحضارة العربية القدرة ضد
الإنسانية، حرباً وراء لربح المادي، ولا استعداد لعنصري،
والتعصب اديني كتلك الحروب التي عرفها العالم الغربي في
كل تاريخه الملوث الطويل.

إنما هي الحرب التي تحرح الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده. الحرب التي تحمل معها المساواة والعدالة والكرامة لكل كائن بشرى على سطح هذه الأرض، وتحققها في عالم الواقع وعالم المثال. تحققها في التشريع وفي التنفيذ. تحققها للأسود والأبيض والمسلم والمعاهد. تحققها في صورة واحدة وبأداة واحدة، وهي مستوى واحد للجميع.

ولقد حرم الإسلام لربا والاحتكار، وحرم اربح الفاحش، وحرم الاستغلال الآثم، وبذلك أطر أسباب حروب الاستعمارية المادية الأولى، وقتلها في مهدها قبل أن تفرح.

ولقد غلق الإسلام أبواب الحرب كلها فيما عدا باباً واحداً باب الجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون للناس سواء أمام الله.

فإذا كانت الحروب في هذا الوجه وحده، فهي إذن حرب إنسانية لا يقصد فيها إبى التكيل والنقتيل والندمير؛ وما يحور أن تحس الأرياء والضعفاء، ولا أن تتجاوز عييتها الأولى من إزاله قوى الشر ولطم، أو حصاعها لتأمن لإنسانية شرها. وليست هناك مصلحة للإبادة أو النشفى أو الاستذلال.

روى رباح بن ربيعة أنه حرح مع رسول الله ﷺ في عروه عراها، فمر رسول الله وأصحابه على امرأة مقتولة، فوقف عليها ثم قل: «ما كانت هذه لتقتل!» ثم نظر في وجوه أصحابه وقال:

لأحدهم: «الحق بخالد بن الوليد، فلا يقتل ذرية ولا عسيماً
(أجيراً) ولا امرأة»^(١).

ورفع إليه عليه السلام بعد إحدى الوقعات أن صبيه قتلوا بين
الصفوف، فحزن حزناً شديداً فقال بعضهم ما يحزنك يا
رسول الله وهم صبية للمشركين؟ فعضب النبي وقال ما معناه إن
هؤلاء حيركم إنهم على العطرة أو لستم أبداً المشركين؟
فإياكم وقتل الأولاد إياكم وقتل الأولاد.

وروى مالك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال.
«ستحدون قوماً زعموا أنهم حسبوا أنفسهم لله، فدعوهم وما
حسبوا أنفسهم له، ولا تقتل امرأة ولا صبياً ولا كبيراً هرمًا»
وقال في وصية له لحده: «ولا تقطع شجراً، ولا تخزن
عامراً».

وقال زيد بن وهب. أتى كتابُ عمر رضي الله عنه وفيه. «لا
تفلوا، ولا تعدوا، ولا تقتلوا وليداً، واتقوا الله في الملاحين».
ومن وصاياه: «لا تقتلوا هرمًا ولا امرأة ولا وليداً، وتوقوا
قلوبهم إذا التقى الرحمان وعند شمس الغرات»

(١) روى ابن عمر رضي الله عنهما وأخرجهم أسسه. لا إنساناً قال «وجدت امرأة
مقتولة في بعض معاري رسول الله ﷺ فهي رسول الله ﷺ عن قس
النساء، وروى مريضة والصبيان» قال «كان رسول الله ﷺ إذا أمر الأمير
على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين
حيراً ثم قال له اعزوا باسم الله في سبيل الله فاتلوا من كتب الله اعزوا ولا
تعدوا ولا تغثوا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً» أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي

ولم تكن هذه تعاليم نظرية تدوب عند الراقع وتسواري إنما كانت سلوكًا عمليًا في الحروب الإسلامية قديمًا وحديثًا، لم يشد عنها إلا النادر الذي لا يقاس عليه، ولا يبطل الماعده التي جعلها للإسلام غايته وحققها في واقعها.

فإذا نحن ألقينا من هذه القمة الشمعة التي يقف عليها الإسلام في سدمه وحربه، بطرة على المستنقع الآس لدى تلغ فيه الحصار الغربية سلمًا وحربيًا، أدركنا بُعد الشقة بين نظام ينزله الله للبشر، ونظام يصعده الناس للناس. وأدركنا كم حسرت البشرية يوم تنكرت لنظم الله وهي تتعثر في تكسر مصحك وفي تعالم مصحك، تريد أن تقول إنها تريد لنفسها خيرًا مما أراد الله، وإنها تمكك لنفسها خيرًا مما أعطاها الله!

وستظل هذه البشرية تطلع في طريق كلها محدرات وأكم؛ وتلغ في كل مستنقع آمن من صم الحضارة لكافة المغرورة بالصالة عن الله إلا أن يتسلم الإسلام الرمام، فيقود البشرية الحائرة إلى مثابة العدل والنظام والسلام.

الفهرس

٧	العقيدة والحياة
١٥	طبيعة السلام فى الإسلام
٣٧	سلام الضمير
٣٨	المنطق والعقيدة
٤٣	الأشواق والضرورات
٤٦	الخطبة والتوبة
٥١	التكليف والطاقة
٥٥	الاطمئنان إلى الله
٥٨	الضمانات والتأمينات
٦٤	سلام البيت
٦٤	الرباط المقدس
٦٨	الاختلاط والتبرج
٧٢	الحدود

٧٨	الطلاق
٨٣	تعدد الزوجات
٩١	التكافل العائلي
٩٤	سلام المجتمع
٩٦	وجدان الحب والرحمة
٩٩	الأدب النفسي والاجتماعي
١٠٤	شعور التعاون والتضامن
١٠٧	الأهداف العليا للحياة
١١١	نظام الحكم
١١٥	ضمانات العدالة القانونية
١١٨	ضمانات الأمن والسلامة
١٢٥	ضمانات الحياة المعيشية
١٢٩	التوازن الاجتماعي
١٤٤	الاطمئنان إلى القانون
١٥٠	سلام العالم
١٥٢	الجهاد في سبيل الله
١٥٩	روح السماحة الإنسانية
١٦٧	العنصر الأخلاقي في المعاملات

رقم الإيداع ٩٢٣٨ / ٢٠٠٥
الترقيم الدولي 4 - 1279 - 09 - 977 I.S.B.N.

مطابع الشروق

العمارة ٨ شارع ميجويه المصري - ت: ٤٠٣٣٩٩ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (١)
بيروت: ص.ب: ٨٠٦٥ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس: ٨١٧٧٦٥ (١)



في ظلال القرآن
العلاقة الاجتماعية في الإسلام
خصائص التصور الإسلامي ومقوماته
النقد الأدبي أصوله ومناهجه
كتب وشخصيات
الإسلام ومشكلات الحضارة
التصوير الفني في القرآن
مشاهد القيامة في القرآن
ممركتنا مع اليهود
تفسير سورة الشورى
تفسير آيات الرها
دراسات إسلامية
السلام العالمي والإسلام
معركة الإسلام والرأسمالية
في التاريخ لكرة ومنهاج
معالم في الطريق
هذا الدين
المستقبل لهذا الدين
نحو مجتمع إسلامي



6 221102 001731